العدد ١٠ من السنة الثانية | رمضان سنة ١٣٦٠ — أكتوبر سنة ١٩٤١

مجلة الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

(لجان)

مدير التحرير : حسن الشريف

إدارة المجلة : بديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

فهرس مواد العدد

		صفحة
بعض شؤون الوزارة	الأستاذ ابراهيم دسوق أباظة	٣
رجال الطرق الصوفية	سماحة السيد أحمد مراد البكرى	٨
نقطة البدء فى الاصلاح الاجتماعى		١١
الضرائب الجديدة	حبيب المصرى باشا	١٥
ضبط النفس فى الملمات	عبد القادر الحمال باشا	٢٠
الفلاح ورفع مستواه	محمد بدير باشا	٢٤
مشروعات الاصلاح	الأستاذ سيد قطب	٢٨
واجب الشعب نحو المهاجرين	محمود حسيب بك	٣٤
الغداء الصحى للفقراء	محمد عزيز بك	٣٨
شخصية الطفل	الأستاذ عبد الشافى اللبان	٤٢
واجبات الآباء	« محمد أبو بكر ابراهيم	٤٦
العلل النفسية	« سلامة موسى	٤٩
الشاعر والغاية	الأديب أحمد عبد المجيد الغزالى	٥٤
بعض المآخذ على سلوكنا	الأستاذ محمد زكى عبد القادر	٥٧
صور من القاهرة المجهولة	« محمد عبد الكريم	٦٠
كيف نرى أبناءنا	« على حسنى ابراهيم	٦٩
رياضة العموم	« عبد الحميد المشهدى	٧٥
أبناء السبيل	« عبد الحميد ابراهيم صالح	٧٩
تحسين حال الفلاح	« عريان يوسف سعد	٨٣
لغة الدواوين	« محمد عيسى	٨٦
داء ودواء	« محمد مصطفى حمام	٨٩
وزارة بلا ميزانية		٩١
الجانب الاجتماعى فى الشعر الحديث		٩٦
البغاء فى مصر	اليوزباشى صالح زكى	٩٨
مدرسة للخطيبات		١٠١
روح المرح والدعابة		١٠٥
الراحة والسعادة		١٠٨
روح العطف والمودة		١١٠
رابطة والاصلاح الإجتماعى		١١٤

بعض شؤون الوزارة

أسئلة وأجوبتها

لحضرة صاحب المعالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه

وزير الشؤون الاجتماعية

محاضرة ألقاها معاليه من محطة الاذاعة فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٤١

إذ حدثتكم الليلة باسم وزارة الشؤون الاجتماعية فلأنى حريص على توثيق الصلة بين المجتمع المصرى وبين الوزارة التى أنشئت لخدمته ، ولأن مطالعة هذا المجتمع بأعمال الوزارة ومشروعاتها توجد صلة ودية بينهما تيسر التعاون الوثيق بين الحكومة والشعب ، فيعم النفع وتزداد الفائدة وتجنى البلاد ثمار هذا التعاون المرجو لسعادتها وخيرها .

وسبيلى إلى الاتصال بالجمهور سيكون الإذاعة ، فهى خير سبيل . وسأتحدث إليكم اليوم عن عدة موضوعات أهمها مشروع المراكز الاجتماعية ، هذا المشروع الذى أنشئ لخدمة الفلاحين مباشرة وإنقاذهم مما يعانونه من شقاء ، ثم أتكلم بعد هذا عن الحفلات الخليعة وأثرها فى المجتمع وعن أعانى الإذاعة ثم زواج المهاجرات .

فمشروع المراكز الاجتماعية ، أيها السادة ، لم يفهمه الكثيرون على حقيقته ، وانتقده قوم عن جهل منهم بالغرض من إنشائه .

هذا المشروع يعتمد فى قيامه على التعاون الوثيق بين أهل القرى والحكومة . ونرجو إذا توطد هذا التعاون على الوجه الذى نرمى اليه ، أن ينهض ويصحح فيؤدى للفلاح أكبر وأجل وأفضل خدمة قدمت إليه حتى الآن .

إن الإصلاح الذى يفرض على الناس فرضا يقابل بالشك والحذر ثم يكون مصيره الفشل . أما الذى يكون أساسه الإيمان والاقتناع بنفعه ثم التعاون عن رضا وارتياح فهو خليق بأن يكتب له التوفيق والنجاح .

هذا المشروع ، أيها السادة ، بنى على أقرب الطرق العملية لخدمة الفلاح والعامل والنهوض بهما ورفع مستوى عيشهما بعد بحث وتفكير وتمحيص ، وبعد أن نجحت تجربته فى بعض ممالك أوربا كما جربت فى الهند ، فكان فى الشرق كما كان فى الغرب محمود الأثر مضمون النتيجة .

والآن يجمل بى أن أكلمكم عن تكوينه وعن أعماله لأقدم لكم عنه بقدر الإمكان صورة صحيحة .

يختص كل مركز اجتماعى بخدمة عشرة آلاف نفس من القرويين و يقوم على دعامات ثلاث : طبيب ، زائرة صحية ، إخصائى زراعى اجتماعى . ويتألف مبنى هذا المركز من عيادة طبية وصيدلية ، ودار للرعاية الأم والطفل ، وقاعة للاجتماعات وحجرة للمكتبة يراعى فى إقامتها التبسيط وسهولة التكاليف ليتيسر تعميمها فى أنحاء البلاد .

والطبيب مركز يعد فى كل وقت لعلاج المرضى بغير مقابل فى جميع الحالات التى يضمن فيها العلاج ، و يعالج المريض فى عيادة المركز أو فى منزله اذا صعب عليه الانتقال ، وسيكون المستشار الصحى لكل من يحتاج اليه من أهالى القرى . والأدوية تصرف بغير ثمن ، والاعتماد المقدر لهذه الأدوية يبلغ نحو ألف جنيه فى العام .

أما المرضى الذين يتعذر علاجهم بسبب حالة مرضهم فيحولون إلى المستشفيات القريبة منهم ، وسيدرس الأطباء الأحوال الصحية فى كل قرية والوسائل لاصلاحها ، وهم مكلفون إلقاء محاضرات صحية عن الأمراض والأوبئة والوقاية منها والإسعاف وترغيب الأهالى فى العدالة وتعويدهم الطرق المثلى لتحسين الصحة العامة مع الاندماج فى سكان القرية بأن يسلوا بهم ويكسبوهم مودتهم وثقتهم .

والزائرة الصحية تقوم بفحص حالات الحوامل وتعهدها فى أثناء الحمل وعند الوضع ، وتشرف على الدايات وتمرينهن وترقيتهن ، وتزور الوالدات فى منازلهن وتعنى بالأطفال ، وتراقب كل يوم حالة البيوت وترشد ربّاتها للنظافة وتنظيم المسكن والعناية بالأطفال ، ومن واجب الزائرات إلقاء المحاضرات لإرشاد النساء إلى واجباتهن كزوجات وأمهات وربات بيوت .

والإخصائى الزراعى الاجتماعى يدرس حال القرية أرضها وحاصلاتها وما ينبغى أن يصلح فيها من زراعة ، ينجح فيه من صناعة ، كما يتعرف لأهلها بدراسة أحوال معيشتهم على طريقة علمية ليكون العلاج على أساس صحيح ، ويقوم إلى جانب هذا بإرشاد الأهالى لاتباع أحسن طرق الزراعة وأفضلها ، وإلى التجديد فيها ومقاومة آفاتها ، ويساعد موظفى التعاون فى تنظيم الجمعيات التعاونية وتوجيه الأهالى إلى تهذيب الصناعات المنزلية والزراعية الموجودة فى قراهم مع استحداث زراعات وصناعات جديدة تناسب موقع القرية وتربتها . وعليه أن يتصل بالجهات الحكومية لتلبية مطالب المزارعين المتصلة بتحسين مزروعاتهم وتصريف حاصلاتهم ، وأن يشترك معهم بالنصح عند بيع هذه الحاصلات حتى لا يكونوا هدفا للضاربين والمرابين ، ومن واجبه أن يتصل برجال الدين فى القرية لإقامة الشعائر الدينية (وكلها تدعو للنظافة والرياضة والتقوى) مع تنظيمها وتخليصها من الخرافات المكروهة والبدع ، كما أن عليه الاتصال برجال التعليم الإلزامى ليتعاون معهم فى تنشئة الأطفال تنشئة سليمة مع تكوين هيئات محلية لإنشاء فصول ليلية للقضاء على الأمية ، ولجان لمراقبة تنظيف القرية ونفض المزرعات وتنظيم الإحسان . وأضرب لكم مثلا بما قامت به المراكز الاجتماعية

التى جربت قبل ذلك فى "المنايل" و"شطانوف" لتحصلوا على فكرة عامة عما يمكن أن تعمله هذه المراكز الى جانب الأعمال الصحية فانها اهتمت هناك بتربية النحل وتهذيب استخراجه ، وتربية دودة القز لإيجاد خيوط الجراحة النادرة الوجود. وأنشأت معامل الألبان وأقامت حمامات يصرف فيها الصابون والماء الساخن فى الشتاء مجانا، وكونت لجان إحسان ونظمته ووجهته للمحتاجين وعنيت بنظافة القرية — منازلها — وطرقها وميادينها — وكونت لجنة مصالحات لفض الخلاف بين الأسرات. وأسست مكتبة قروية بسيطة وأنشأت مدرسة ريفية نموذجية عملية أسلمتها وزارة المعارف إلى المركز الاجتماعى، وجمعيات تعاونية تعمل الآن بجد ونشاط ، وأنوال منزلية تحاول تعميمها ، وقامت بإجراء فحص طبى شامل للقرية ثم لكل فرد وكذلك قامت بدرس اجتماعى لحالة كل أسرة مما لم يسبق له مثيل للآن فى هذه البلاد ودقت طلمبات يدوية بسيطة للحصول على مياه الشرب النقية، وأدخلت طريقة المراحيض البسيطة فى دور الفلاحين. ونشرت زراعة الأشجار الخشبية ونظمت محاضرات اجتماعية دينية، وأصلحت الطرق الموصلة للقرية بمجهود أهلها أنفسهم ، ثم ردمت بركة فى "المنايل" مساحتها فدان بمعونة الأهالى حتى إن تكاليف الردم لم تزد على أربعين جنيها .

وهكذا ترون، أيها السادة، أن موظفى المراكز الاجتماعية يقومون مع الأهالى بأعمال الإصلاح و يؤلفون وحدة اجتماعية نافعة تسودها الثقة والمودة فتعمل جادة على الأخذ بيد الفلاحين وتوجيههم نحو مصلحتهم وهى جزء لا يتجزأ من الصالح العام .

وقد وفقت وزارة الشؤون الاجتماعية باستتاج خمسة مراكز تم إعداد ثلاثة منها وأخذت فى إنجاز الباقى منها فعلا، وهى تقوم الآن فى بيوت مؤقتة تبرع بها أهل الخير من رجال الجود والمروءة حتى تتم الأبنية التى تعد لها والتى تبرع بها أيضا رجال ممن يحبون قريتهم و يسهرون على تقدمها ورفع مستواها خدمة للصالحة العامة .

و يسرنى أن جميع أهل القرية حتى صغارهم يساهمون فى هذا البر كل بماله أو عمله بقدر طاقته أسوة بما يتبع فى تشييد المساجد. وقد بلغ عدد المنتفعين بخدمة العيادات الطبية فى كل مركز ٢٢٥٠ شخصا فى المتوسط فى كل شهر، أى بمعدل ٧٥ فى اليوم الواحد، ويشمل ذلك الرقم المترددين على العيادة والمرضى الذين يعالجون فى دورهم، كما يشمل من أجريت لهم عمليات جراحية صغيرة ، أما الذين استفادوا من خدمات دار رعاية الأم والطفل فى كل مركز فقد بلغ متوسط عددهم ١٨٠٠ شخص فى الشهر ، و يشمل هذا أيضا المترددين على الدار وحالات الوضع أو العلاج فى المنازل .

و بمساعدة الإخصائى الزراعى الاجتماعى أنشئت لجان فى القرى لرعاية مرافقها عن طريق أهلها فأصبحت وفيها لجان للنظافة والمصالحات والإحسان والتعليم وتنظيم المحاضرات و إحياء الشعائر الدينية والاقتصاد وتعهد الزراعات ومراقبة آفاتها و بيع محصولاتها إلى آخر هذه الأغراض التى سبق أن حدثتكم عنها . . .

ومما سررت به كل السرور وأنعش فى نفسى الرجاء وأوجد الأمل فى النهوض بأعباء إسعاف القرويين أن الأعيان قد أقبلوا على معاضدة المشروع أكبر معاضدة وأظهروا سخاء وهمة تستحقان كل تقدير وشكر ، وشاركتهم فى ذلك سائر الطبقات. ففى "هلا" تقدم الحاج هنداوى بسيونى بفدان أرض فى أحسن موقع بجوار المساكن ، ومبلغ كبير من المال وقطع على نفسه عهدا بأن يبذل من ماله كل ما ينقص لإتمام المشروع إذا لم تف التبرعات. إلا أن الأهالى قد عاونوه فى هذا السبيل ، ثم نزل عن بيته بلا مقابل للمركز الاجتماعى يعمل فيه حتى يتم البناء ، فضرب مثلا عاليا فى المروءة والسخاء ، وفى "برما" تقدم النائب المحترم حسين بك شمس الدين حمودة بأرض للبناء ومبلغ من المال ونزل عن بيته الجميل بلا مقابل أيضا للمركز الاجتماعى حتى يتم تشييد البناء واقتدى به كل أعيان القرية يتسابقون للتبرع لهذا المشروع الجميل و بذلوا و يبذلون كل ما يمكنهم الاكتتاب به ، وفى أبى النمرس كان الدكتور ابراهيم بيومى مدكور بك عضو مجلس الشيوخ والوجيه الشيخ محمود مدكور أول من بذل ودعا للمشروع فلم يتردد أعيان البلد فى معاضدة المشروع برضا وارتياح ، وفى منية الخيط والعلاقمة أظهر العمدة وأعيان البلدتين حماسة وغيرة وهمة أذكرها بالشكر والثناء ، وقد زرت هذا الأسبوع منية الخيط وشاهدت بنفسى مدى اندفاع أهلها فى سبيل الخير حتى بلغت تبرعاتهم بمناسبة زيارتى ٢٨٠ جنيها أضيفت إلى المبالغ التى جمعت من قبل .

واذا كان الحديث عن إصلاح حالة القرية والقرويين جديرا بأن ينال أكبر اهتمام فإن ذلك لا يصرف الوزارة عن الاهتمام بغير ذلك من الشؤون . وسأحاول أن أرضى المتطلعين للإصلاح العام والمتتبعين لخطوات الوزارة فى سبيله والمتشوقين لمعرفة رأيى فيما يمس حالة المجتمع المصرى مما تكتب عنه الجرائد أو ترسل فى بشأنه الأسئلة على صفحاتها أو فى كتب خاصة.

فقد كتبت بعض الجرائد وسألنى الكثيرون عن رأيى فى الحفلات الخليعة ، ورأيى فيها معروف فإنى أستنكرها كل الاستنكار ولا أرى التجديد والتقليد فى هذا الشأن إلا علوا فى قطع الصلة بيننا و بين كريم عاداتنا والمقدس الغالى من أوامر ديننا ، ولا ترى وزارة الشؤون الاجتماعية فى هذه الحفلات إلا معاول لهدم كيان الأسرة والقضاء على استقرار والسلام بين أفرادها وقد زرت البلاد الأوربية غير مرة وسمعت أنين أرباب الأسر ، ورأيتهم يجأرون بالشكوى مما وصل إليه حالهم. وليس هذا الحال مما يحسدون عليه فنتخذه مثالا حسنا وقدوة صالحة .

وليس معنى هذا أن نحرم البيوت من المرح ووسائل التسلية البريئة التى تبدد الخمول والكآبة التى تقضى على نشاط المرء ، فإن المرح يساعد على الإنتاج و ينقذ النفوس القلقة مما يساورها من أشجان الحياة وهمومها .

والوزارة تهيب بأولئك المجددين المستهترين أن يرياوا بأعراضهم ومستقبل أسراتهم وأبنائهم فيقلعوا عن خطتهم . وما زلت شديد الأمل فى يقظة تعيدهم لحظيرة الرجولة والشرف والكرامة.

وإنى لأطمع فى معونة المجلات الأسبوعية فإن أكثرها يروج لهذه الحفلات الخليعة بما ينشره عنها من أخبار أو صور ، وأعتقد أن من الوطنية ألا يشجع الكتاب قومنا لا يغارون على سمعة بلادهم وعلى الفضيلة بين ربوعها .

ويجب أن يذكر أولئك المستهترون الأغنياء ، يجب أن يذكروا جيدا أن فريقين ينظران اليهم نظرة قاسية : فالفريق الأول هو بنوع خاص فريق المتشددين فى المحافظة على تقاليد بلادهم وعاداتها وسمعتها الأدبية ، وهم خاصة أهل البلاد وكبار أعيانها ، والفريق الثانى فريق البؤساء الذين يعانون الشقاء وشظف العيش ، ويحز فى نفوسهم ما يقفون عليه من أحوال أولئك المغالين فى حياة كلها إسراف وبذخ ولهو ونزوع إلى التبذير والبذل فى مخالفة السلوك القويم ، والعادات المرعية الواجبة الاحترام ...

هؤلاء الفقراء الجياع تمتلئ نفوسهم حقدا واشمئزازا ويثيرهم الشعور الخفى بأن أولئك المترفين الأثرياء يتمتعون وينعمون بما هم فيه من عبث ، وهم لا يجدون القوت أو الكفاف من العيش فيغلى فى صدورهم الغيظ من المجتمع .

قرأت انتقادات عديدة ووجه إلىّ الكثيرون أسئلة وعتابا بشأن ما تنشره محطة الإذاعة من الأغانى الماجنة وما فيها من ميوعة وخلاعة ، وأنا أقرر بأننى قد ضاعفت الرقابة على هذه الأغانى ، وأعتقد أن التحسن فيها مستمر ، وقد بدأ منذ علت الصيحة فى عهد من سبقنى من الوزراء مطالبة بالتجديد والإصلاح ، على أننى أكون شاكرا لمن يلفتنى إلى أغان معينة تدخل فى هذا النوع ، ويجب ألا ننسى اختلاف الأذواق وتباين وجهات النظر فى التقدير عند البحث فى جمال الصوت وسلامة الأغنية من العيوب التى يشكو منها بعض دعاة الإصلاح .

* *

بقى على أن أحدثكم عن زواج المهاجرات فإن الوزارة رأت أنهن فى حاجة لرعاية خاصة حتى لا يتعرضن للأخطار الاجتماعية التى تضاعف النكبة ، فرأت أن تعنى بترويج من يصلحن منهن للزواج بعد تمحيص كل حالة ودراستها دراسة كافية ، ونرجو أن يحقق قريبا تنفيذ هذا المشروع السعيد . وأكرر فى النهاية ما بدأت به الحديث من أن وزارة الشؤون الاجتماعية تعتمد كل الاعتماد فى أداء مهمتها الخطيرة على تأييد الشعب ومساعدته ، وأناشد القادرين ممن يحبون الخير أن يبادروا بالتعاون معها أدبيا وماديا لتتمكن من أداء واجبنا نحو مليكنا المحبوب الذى يهتم كل الاهتمام بشؤون شعبه ، ووطننا العزيز الذى يحتاج إلى جهود أبنائه فى سبيل نهضته وإعلاء شأنه ، والسلام عليكم ورحمة الله ، وإلى اللقاء ما

دسوقى أباظة

رجال الطرق الصوفية

ومنكوبي الغارات الجوية

حضرة صاحب المساحة السيد احمد مراد بكري

مع شيخ عرق الحوية

بسم الله الرحمن الرحيم شاء القدر أن ينال هذا العام الأمن بعض ويلات الحرب الكبرى القائمة الآن. هذا الصراع العنيف الذي نسأل الله جل شأنه، أن يخفف عنا وعن المسلمين من ويلاته، وأن يجعل منه صراعا للعقيدة والإيمان، وسبيلا سويا لاستقرار الفضيلة والحق. لاشك أن أقسى وأفجع تلك الويلات التي نعاني من حين لآخر هي الغارات الجوية وما تثيره على البلاد وأهلها في جميع الأشياء من حرب وتدمير وهلاك، فيتملك الرعب النفوس ويعم سكان الجهة المنكوبة على وجوههم لا يلوون على شيء، بعد أن يكون معظمهم قد فقدوا أعز ما لديهم وقد منكوا من حطام الدنيا، فيولون وجوههم شطر بلاد القطر الأخرى التي قد تكون في مأمن وقتي من هذه الكوارث ولا يوجد بيننا الآن إلا قليل ممن ليست لهم مشاهدات وتجارب من قريب أو بعيد بين أجواع الزاخرة التي أصبحوا يسمون بالمهاجرين ومنكوبي غارات، تلك التجارب والمشاهدات التي لا شك في أن الجميع يقرون معي بأنها من نوع الذي يفتت الأكباد ويثير الشفقة والحنان ويحرك بعث العاطفة الإنسانية الكامنة في كل إنسان كامل بدون فرق بين الكبير والصغير أو الغني والفقير. فهذه هي التجارب والمشاهدات التي لا بد لنا من أن نوطد العزم على استقبالها في الحاضر والمستقبل بعزيمة المؤمن وثقته معتصمين بالصبر والتقوى.

قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ".

وفي آية أخرى: "وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ".

وقد صلى الله عليه وسلم "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابه سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيرا له" وقال كذلك صلى الله عليه وسلم "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط".

إن تلك العاطفة التي تحركنا نحو المهاجرين ومنكوبي الغارات الجوية لتوقظ فينا حقا شعورا فياضا بواجبنا نحوهم . تلك الواجبات التي أرغب في أن أوجه إليها نظر حضرات رجال الفرق الصوفية من جميع الطرقات ومن جميع أنحاء القطر ، فأقول :

تنحصر هذه الواجبات في مجموعتين . المجموعة الأولى هي الواجبات العملية ذات الصبغة الانسانية ، والمجموعة الثانية هي الواجبات الروحية الدينية .

فأهم واجبات المجموعة الأولى هي :

أولا — أن تقوم ، مهما كانت مقدرتك على الفور وبدون أدنى تردد ، بقسط من المساعدة سواء كان ذلك بإيواء بعض المهاجرين أو بلا كتاب لهم .

ثانيا — إن لم تكن قادرا على المساعدة أي وسيلة للتلبية لطلب تقديم مثل هذه المساعدة إلى من تتوسم فيهم الخير والوطنية حيثما كنت ، وبذلك يصبح عليك واجب تنظيم وتقديم هذه المساعدات للمهاجرين .

ثالثا — إذا كنت شيخا فتكلف نوابك ورجالك بأن يكونوا القدوة في القيام باحتياجات المهاجرين كل في بلدته أو ناحيته ، ويصح عليك أن تراقب وتشجع جهود كل منهم في هذا الصدد .

رابعا — إذا كنت مالكا فتطرح جانبا جزءا يسيرا من محصول غلتك لتقديمه للمهاجرين ناحيتك ، فإن لم يوجدوا فلترسله إلى هيئة من الهيئات المركزية مثل جمعية الهلال الأحمر التي تقوم بنصيب كبير من إعالة هؤلاء المهاجرين ومنكوبي الغارات ، كذلك إذا وجد مهاجرون بناحيتك فتفرد لهم مساكن في عربتك مهما كلفك هذا العمل من عناء أو كلفة .

خامسا — إذا كنت طبيبا فتواس ولتعالج مهاجري ناحيتك ، وأنت وصناعتك الطب أقدر الأشخاص على دفع الداء بمعونة الله وإرجاع الاستقرار والطمأنينة إلى نفوس من تعالجهم .

سادسا — إذا كنت موظفا فتستعمل نفوذك بين حكام ناحيتك لتنظيم إيواء وإعالة من يوجد بها من مهاجرين .

سابعا — إذا كنت وكيلا للشيخة فتكن القدوة في تقديم وتنظيم أنواع المساعدات للمهاجرين في منطقتك من مسكن ومأكل وملبس وعلاج ، كما أن عليك واجب الاتصال بكل من يمكنه تقديم عمل لكل مهاجر يكون في حاجة إليه .

أما واجبات المجموعة الثانية فهي :

أولا — أن تواسي من نكب في أهله وماله من بين المهاجرين ، وأن تدخل على نفسه الطمأنينة والاعتصام بالصبر وزوال النكبة .

ثانيا — عليك أن تزيل الخوف والرعب من نفوس الأطفال والنساء متوسلا إلى ذلك بكل ما من شأنه أن ينسيهم ما مروا به من أحداث .

ثالثا — أن تيسر للمهاجرى ناحيتك الوسائل لاستماع آى الذكر الحكيم ، فقد قال تعالى " ألا بذكر الله تطمئن القلوب " .

رابعا — تنظيم وتهيئة حلقات الذكر والإرشاد ليليا على أن تتخذ هذه المناسبات لبث الطمأنينة والاستقرار لروحى بكل ما أوتيت من حجة ووسيلة .

خامسا — عليك أن تكافح بكل ما أوتيت من وسائل فعالة الإشاعات والأخبار الكاذبة من جميع الأنواع والتى دلت التجربة على أنها تكثر وتتضارب أنواعها أيما حل المهاجرون فبذلك تقدم أكبر مساعدة للأمن العام ولوطنك .

سادسا — أن تكون فى كل أوقاتك ومجالسك داعية للصبر والاعتصام بصفات المؤمن الحقة حاضا على الكرم والإيثار، فقد قال تعالى :

" وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " صدق الله العظيم ٩

أحمد مراد البكرى

الإسلام والإصلاح الاجتماعى

على لسان الشريعة الإسلامية

أنا اللؤلؤ المكنون والجوهر الغالى ... أنا الكوكب الوضاء فى أفقه العالى

رسمت طريق المجد والرشد والهدى ... وحصنت صرح الملك بالعلم والمال

ووجهت للحسنى ملوكا وسوقة ... بعدلى ، وإحسانى ، وآيى ، وأعمالى

فما بال قومى أصبح الله بالهم ... يعقون إحسانى وينسون أفضالى ؟

مددت على الدنيا ظلالى وريقة ... فما بالهم قد جانبوا اليوم أظلالى ؟

وأنشأت فى الماضى أسودا أعزة ... فما لى عيت اليوم عن خلق أشبال ؟

أشعل مصباح وأنتم نجوة ... تسيرون فى دنيا ضلال وإضلال ؟

تسيرون خلف الغرب فى كل بدعة ... وتحيون بالتقليد فى سيئ الخال

ألا ليت شعرى ، هل أرى اليوم مصلحا ... يسير على نهجى ، ويوحى تأملى ؟

محمد البندارى

موظف بوزارة الشؤون الاجتماعية

نقطة البدء

فى الإصلاح الاجتماعى

هى التعادل بين الجهد والجزاء

بقلم الأستاذ "س..."

بعد ما يقرب من ألف سنة قضتها مصر فى أسوأ الأحوال ، تحت حكم المماليك والأتراك والاستعمار الأوروبى ، صار المجتمع المصرى إلى حالة من الاختلال تجعل المصلح الاجتماعى يراها كالحلقة المفرغة ، لا يدرى من أين يبدأ فيها الاصلاح .

الفقر والمرض والجهل .. تلك هى الأمراض الاجتماعية المتشابكة الواضحة للعيان ؟ وخلفها عشرات الأمراض الناشئة عنها أو المتلبسة بها . ولكن أليس من ورائها جميعا أسباب أعمق لهذا الاختلال الذى لا شك فيه ؟

يخيل إلى أن هناك سببا أصيلا لهذه الأمراض كلها . هذا السبب هو فقدان التوازن بين الحقوق والواجبات وضياع العدالة بين المغانم والمغارم ، وانعدام التعادل بين الجهد والجزاء .

وتتضح هذه الحالة حين نسأل : أكل فرد فى مصر وكل هيئة وكل طبقة تتناول من الأجر بقدر ما تبذل من الجهد ، وتعطى للمجتمع بقدر ما تأخذ منه ؟ هل موظف الدرجة الأولى الذى يتقاضى مائة وعشرين جنيها فى الشهر ينفع الدولة بمقدار ما ينفعها موظف الدرجة التاسعة الذى يتقاضى ثلاثة جنيهات ، أربعين مرة ؟ هل مدرس الجامعة الذى يتناول ستين جنيها فى الشهر يؤدى للدولة خدمات تعادل خدمات المدرس الإلزامى الذى يتناول ثلاثة جنيهات ، عشرين مرة ؟ هل صاحب العمل الذى يستخدم ألف أجير فى اليوم بألفين وخمسمائة قرش ويربح فى اليوم مثلها يبذل من الجهد مقدار ما يبذله ألف أجير ؟

وهكذا نمضى فى تلك الأسئلة ، والجواب عليها دائما بالنفى ، والفرق بين الأخذ والإعطاء وبين الجهد والجزاء فى كل حالة هو الفرق بين الصحة الاجتماعية والمرض فى المجتمع المصرى الغارق فى هذا الاختلال .

ولكن كيف كان هذا الفرق الهائل بين الجهد والجزاء ، وبين الحقوق والواجبات ؟

أقرب الأسباب إلى اعتقادى هو اختلال النظام الحكومى قبل عهد الاستقلال ، هذا الاختلال الذى يدفعنا اليوم فى تياره بقوة الاستمرار والذى علينا اليوم أن نجعل إصلاحه "نقطة البدء فى الإصلاح الاجتماعى" .

حينما كانت أوروبا غارقة فى عهد الاقطاع كما نحن فى مصر غارقين فى وضع أشد منه شناعة نتيجة لاختلاف جنسية المحكومين والحكام . كان السادة والسيد فى أوروبا من جنس واحد، فلما زال عهد الاقطاع التقى الجميع فى ظل النظم الديمقراطية إخوانا بينهم أواصر قوية من الجنس واللغة . أما فى مصر فقد كان السادة من المماليك ثم من الأتراك، وكان العبيد من المصريين الفلاحين . فظل الحكام بمعزل عن المحكومين إلى عهد قريب . ولما تسلم المصريون الحكم كانت له تقاليد وأبهة ومراسيم لم يتخلصوا منها إلى الآن .

كان الحكام سادة مترفين يسكنون المدن ويختارون منها أحسن مواقعها ، فعمروا بتلك المدن وبهذه المواقع حصة ، وأهملوا ما عداها ، حتى انقطعت الصلة بين المدن والريف وبين بعض الأحياء فى المدن وبعضها الآخر ، ولم يعد يجمع بينها لا الوحدة الجغرافية والسياسية ، ولم يعد هناك تعادل بين ما ينفق على هذه وما ينفق على تلك ، فاختل التوازن بين الأخذ والعطاء . .

وكان السادة من الملاك أو الموظفين أو المحتسبين . .. الى آخر الأسماء والأوصاف . فى حاجة الى الأجزاء من الفلاحين والعمل والخدم . الذين لا يشعرون نحوهم بعاطفة من جنس أو لغة ، فكان لابد من تخفيض الأجور لهذه الطبقات ، بل لابد من السخرة والاهانة والإيذاء، ليصفو الغنم كله للسادة ، ويقع الغرم كله على العبيد ... فاختل التوازن بين الجهد والجزاء، حتى اذا قدم الاستعمار الأوروبى والامتيازات حل السادة من الأجانب محل السادة من المماليك والأتراك .

ومضت هذه السياسة فى طريقها فتكدست الأموال فى جانب وتكدس الفقر فى جانب ، وبدت التخمة على القلة القليلة وظهر الجوع على الكثرة الكثيرة. وصار "من له يعطى ويزاد ومن ليس له يؤخذ منه مامعه" !

ثم انتهى الأمر الى الفقر والمرض والجهل لخمسة عشرة مليونا من الأشقياء ، والغنى والصحة والعلم لمليون واحد من السعداء ، وتلك هى المرة المرة لألف عام من اختلال نظام الحكم فى البلاد .

* * *

هذه هى القصة .. واذا نحن شئنا أن نبدأ فى الإصلاح الاجتماعى فلنلق بالنا إليها ولنهتم بالسبب الأصيل وهو "عقلية الحكم" فى البلاد، وحتى نحمل على الرغبة القوية فى العدل بين الجهد والجزاء، فقد أخذنا بطرف الحقيقة ، ووضعنا اليد على مكمن الداء .

فلنفرض أننا وصلنا إلى هذا الأمل فأى الأمراض الثلاثة نبدأ على هذا الأساس ؟

لاأشك فى أن الفقر هو الداء الأول الذى تجب مكافحته على هذه القاعدة . فالفقر مرض اجتماعى لاشخصى فى غالب الأحيان ، وهو بحالته فى مصر مرض اجتماعى لاشك فى ذلك منشؤه ماقدمت من سوء عقبة الحكم فيما مضى .

ومن الفقر ينشأ المرض وينشأ الجهل ، وإن كانا يعودان بدورهما فيزيدان حدته ويثبتان أقدامه . والتجربة تثبت أن ارتفاع الدخل لشخص ما أو طبقة خاصة يتبعه حتما ارتفاع درجة الصحة والرغبة فى التعلم ، كما تتوارى فى الحال عدة عيوب وأمراض اجتماعية أخرى.

ونحن نستنكر الحفاء مثلا ونسعى فى مكافحته ، ولكن المشاهدات تدلنا على أن ارتفاع دخل العامل أو الفلاح يدفعهما دفعا الى الانتعال .

ونحن نبح أصواتنا فى الحث على النظافة فلا نجد صدى لهذه الأصوات لأن الفقر يحول دون النظافة ، والخبز مقدم ولا شك على الصابون . فاذا حدث أن ارتفع دخل الفرد أو الأسرة ولو لسبب طارئ ارتفعت معه درجة النظافة لتوافر الصابون والملابس ، وارتفاع الشعور بالقيمة الانسانية عند هذه المخلوقات .

ومما يدعو الى الملاحظة أن قانون التعليم الإلزامى يجد مقاومة عنيفة فى الجهات الفقيرة ترتفع وتنخفض بنسبة الرخاء العام للجهة وطبقات السكان. ذلك أن الوالد الفقير يحتاج الى ولده لتنمية دخله بالعمل فيمنعه من المدرسة ، ويتحمل العقوبات التى يحتمها القانون لأنها أهون عليه من فقد القرش الذى يحرمه . أما الجهات التى يتوافر فيها بعض الرخاء فيسير القانون فيها سيرا مرضيا على قدر الإمكان .

ومن عجيب أمر هذا القانون الذى اقتبساه من مجتمعات أرقى من مجتمعنا المصرى بلا مراعاة لفوارق البيئات ، أنه يلزم الآباء بإرسال أطفالهم الى المدارس ويلزم رئيس المدرسة بالتبليغ عن الآباء الذين لاينفذون القانون. فاذا خالفه الوالد لحاجته الى قرش من أجر ولده وقعت عليه غرامة مالية ؟ فاذا تكررت المخالفة تحت ضغط الحاجة حكم على الوالد بالحبس ليتم بذلك انقطاع مورده الضئيل ؟

الفقر هو علة العلل ، وقد يكون سببه الأول ضيق الموارد العامة التى تهبط بمتوسط الدخل الفردى ، وعلاج هذا السبب يطول شرحه ، ولا طاقة للمحرومين بالصبر حتى تنتهى خطواته. ولكن هناك سببا داخليا ينشأ عنه فقر نسبى ومن المستطاع علاجه فى بضع سنوات.

هذا السبب هو فقدان التوازن بين مايتفق على الريف وما ينفق على المدينة ، ثم فقدان التوازن بين الجهد والجزاء فى جميع الطبقات .

ونظرة إلى ميزانية وزارة الصحة ووزارة الشؤون الاجتماعية، وهما الوزارتان اللتان تهتمان — فى الغالب — بالمحرومين التعساء ، تكفى لبيان حقيقة ما ينال هذه الطبقات العاملة من الميزانية العامة .

ثم نظرة الى نظام الضرائب المباشرة وغير المباشرة ، تكفى لبيان ما يتحمله العاجزون وما يعفى منه القادرون ، وتشير بالضرورة الملحة فى علاج هذه الحال .

ونظرة كذلك إلى فئات الأجور والمرتبات صعودا وهبوطا ، تنير الطريق لمن يريد إنقاذ البلد من هذا الاختلال .

وقد تحول الظروف الاستثنائية دون حرية التصرف لإصلاح هذه الحالة التى طال عليها الأمد ، ولكنها لاتحول دون الممكن منها فى جميع الظروف والأحوال ، فاذا لم نستطع شيئا مطلقا — وتلك حجة من لايريد — فلتكن نية خالصة اوجه هذا الوطن أن نستبدل بهذه العقلية عقلية أخرى أوسع إدراكا وأكثر عدالة من عقلية المماليك والأتراك .

ولعل مما يساعد على تكوين هذه العقلية الجديدة ، أن يوقن الجميع أن بقاء الحال من المحال ، وأن هذا الوضع صائر بنا إلى خسارة محققة على الجميع ، يثبتها منطق الاقتصاد الحديث الذى يجعل مجموعة طبقات الأمة كالأنابيب المستطرقة ، ويجعل كل خير يصيب الطوائف المستهلكة عائدا مرة أخرى على المنتجين .

فرفع حالة الطبقات الفقيرة يجعلها أقدر على الشراء ، وأصلح للعمل والإنتاج ، وهذا وذلك يعود بالنفع على أصحاب الأموال .

وإننا لنرنو بأنظارنا إلى المستقبل ونتطلع الى مجد وارتقاء ، ولن تنهض للمجد أمة جسمها كله أشل مهما كان الرأس من القوة والطموح .

والله يلهمنا طريق الرشاد .

"س . . ."

الضرائب الجديدة

وروح العمل بها

"الكلمة التي أداعها حضرة صاحب السعادة الأستاذ حبيب المصري باشا المستشار الفني لوزارة المواصلات ، المنتدب لتنظيم وإدارة مصلحة الضرائب ، من محطة الإذاعة اللاسلكية المصرية عن " الضرائب الجديدة " . المحرر

لاشك فى أن الحديث عن الضرائب ليس من الأمور المحببة إلى النفوس ، وفى أن التزام الإنسان بأن يؤدى إلى خزانة الدولة جزءا مما يكسبه من المال ليس مما يبتهج له قلبه ، فالواجب فى ذاته هو عادة عبء ثقيل على الأعناق ، وتأديته عن طواعية واختيار تحتاج الى تربية وطنية واجتماعية عالية ، وغالبية الناس لا يؤدون واجباتهم إلا عن كراهية واضطرار . ولكن من الخير للوطن ومن الخير للناس جميعا أن يتعرف كل فرد واجبه والتكاليف الملقاة على عاتقه وأن يروض نفسه على القيام بها راضيا وفى المواعيد التى يحددها قانون البلاد ، إذ أن هناك عاملين رئيسيين يهونان على المرء تأدية الواجب ويخففان عنه ما قد يكون فى تأديته من مرارة ، وأول هذين العاملين إدراك الفرد لواجباته نحو المجموع وتقديره لمسئوليته وشعوره بأن ما يؤديه من تكاليف وأعباء إنما تقتضيه الوطنية وتقتضيه مصلحة الاجتماع بل تقتضيه مصلحته الخاصة ، وثانى هذين العاملين تروبض النفس على تأدية الأعباء العامة واعتياد الإنسان للقيام بها على مر الزمن .

وآية ذلك أنه فى البيئات الرفيعة وفى البلاد التى سمت فيها الحضارة ونضجت التربية الاجتماعية والسياسية نرى معظم الناس يقبلون من تلقاء أنفسهم ومن غير حاجة إلى تذكير أو تنبيه الى دفع الضرائب العامة ، إنهم لا يهملون ولا يكبرون للدفع ولكنهم يدفعون فى سكينة وفى غير تذمر ، وهم يعدون التقصير فى دفع الضرائب أو التهرب من الدفع أو محاولة إدخال الغش على السلطات العامة فى مقدار الضريبة إخلالا بالواجب الوطنى وعبثا بالنزاهة والكرامة . وقد قرأت فيما قرأت أنه اذا خطر فى بال أحد أصحاب المتاجر والمصانع فى انجلترا أن يخدع رجال الضرائب بتقديم بيانات خاطئة عن أرباحه رغبة منه فى التهرب من تأدية كل أو بعض الضريبة المستحقة عليه فان الجمهور يقاطعه مقاطعة تامة و يمتنع عن التعامل معه على اعتبار أنه رجل غير شريف وأن عمله لا يعدو أن يكون سرقة ، فينتهى به الأمر الى البوار والخراب . ومن الحق أن يقال إن الانجليز هم مثال فريد بين أمم الأرض قاطبة من هذه الناحية وإنهم أبعد الناس عن الخداع فى أمر الضرائب . ومع أن الضرائب بلغت فى بلادهم حدا

لا [illegible] لا يترددون
في [illegible] ولا يخشون [illegible]

[illegible] مصر [illegible] لا [illegible] من [illegible] الشهرة لاضريبة لأخيار
[illegible] ووصف [illegible] في [illegible] أصبح [illegible] أمرها [illegible] بقوة [illegible] في تحصيلها
[illegible] صعوبة [illegible] بصعوبة تلك الصعوبة [illegible] نتجه من [illegible] وعدم [illegible]

ولكن مصر اليوم أمام تجربة جديدة لم [illegible] من قبل ولم يكن لها من عهدها في أيام [illegible] عهد جديد يعرض لضرائب على إيرادات الثروة المنقولة، كما فرضت من قبل على الثروة العقارية. وهذه الضرائب الجديدة لا يزال معظم الناس على جهل تام بأمرها في جملته وتفاصيله، وهم يتساءلون في دهشة: ما الموجب لفرض هذه الضرائب؟ وما هو الأساس الذي تستند إليه؟ ولماذا تزيد الحكومة في أعباء الناس، وهلا كان عليها من وسائل ما يمكنها من تدبير الموارد لميزانيتها من غير استحداث هذه الضرائب؟

لذلك فإني أريد اليوم أن أحدث إلى المواطنين المصريين في أمر هذه الضرائب وأن أروي لهم نبأها في إيجاز وأتذكر معهم عن الحكمة في تقريرها وعن الروح التي يجب أن تقابل بها.

يعلم المصريون أن البلاد المصرية ظلت قرونا طوالا مغلولة اليدين في أمر تشريعها المالي بسبب الامتيازات الأجنبية، فقد رعمت الدول صاحبة الامتيازات - جورا وتعسفا - أنه لا يجوز للحكومة المصرية أن تفرض أية ضريبة على المقيمين في بلادها من الأجانب إلا برضى دولهم. فكان هذا الوضع القضائي الشاذ المخالف لكل مبادئ القانون العام حائلا للسيادة المصرية وشلا للإدارة الحكومية في التشريعات المالية. على أن الامتيازات في حقيقة أمرها لم تكن ترمي إلى الحد من سيادة الدولة ولم تكن قد وضعت في بدئ أمرها لغرض من هذا القبيل في تسميتها بالامتيازات خطلا ولغوا. وحقيقة الأمر أن المعاهدة الأولى أبرمها السلطان سليمان القانوني مع فرنسيس الأول ملك فرنسا في عام ١٥١٧ والتي أبرم الكثير من مثيلاتها فيما بعد مع الدول الأخرى وأطلق على مجموعها اسم نظام الامتيازات، كان الغرض الوحيد منها تمكين الرعايا الأجانب من حرية التجارة في البلاد العثمانية ولم يكن من أغراضها إطلاقا شل يد الحكومة العثمانية أو جعل الأجنبي في مركز ممتاز من أية ناحية من النواحي بالنسبة للرعايا العثمانيين. ولا سيما إذا روعي أنه في الوقت الذي أبرمت فيه تلك المعاهدة كانت الدولة العثمانية في أوج عزها وصولتها وكانت الدول الأخرى هي التي تخطب ودها وتتوسل إلى الحظوة لديها بمختلف الوسائل وكانت الحقوق التي تضمنتها المعاهدة لمصلحة الرعايا الفرنسيين — ومن بعدهم لمصلحة رعايا غيرهم من الأجانب — منحة وتفضلا من سلاطين آل عثمان ولم تنتزع منهم حتما ولا جبرا. ولكن الامتيازات تضخمت فيما بعد تضخما هائلا بمرور الأيام فلم يعد يحكم روحها ولا يحكم نصوصها ولكن يتحكم تطبيقها تطبيقا خاطئا بفصل

الجهل وسوء الإدارة — إن كان لهما دور — فاتسعت وطبقت على وجوه تخالف ما نص عليه فيها وأعتبر كل توسع فى التطبيق مكسبا للأجانب حقوقا جديدة . حتى وصل الأمر بسبب التعسف فى التأويل والتمحك بالسوابق ولا سيما فى مصر — لأن الدولة العثمانية كانت أشد من مصر مقاومة للتوسع فى التطبيق — إلى ما وصل إليه مما لا حاجة إلى الإسهاب فى بسطه لقرب العهد به .

وإزاء هذه الحالة لم يكن لمصر مناص ، كلما أرادت زيادة مواردها المالية ، من الالتجاء الى الرسوم غير المباشرة وعلى الأخص الرسوم الجمركية — وقد احتفظت فى شأنها دائما بالسلطة الكاملة — أما فيما يتعلق بالضرائب المباشرة فلم يكن لديها سوى الضريبة على الأطيان والضريبة على الأملاك المبنية ، ولكن إيرادات الثروة المنقولة كانت فى حصانة تامة فلم يكن فى وسع الحكومة أن تفرض عليها أية ضريبة ، لأن إلزام الأجانب بها كان يقتضى مفاوضة الدول مفاوضة لا يرجى لها انتهاء ، ولأن فرضها على الوطنيين وحدهم دون الأجانب لم يكن مما يمكن التسليم به بحال ، فاضطرت مصر إلى أن تصبر على مضض حتى تجىء ساعة الخلاص .

وحانت الساعة المنتظرة وظفرت مصر بحقها المشروع بإلغاء هذا النظام البالى فى معاهدة مونترو فى سنة ١٩٣٧ ، وبذلك استعادت الدولة سلطانها الكامل فى كل الشؤون التشريعية والمالية وهو السلطان الذى لا تعد الدولة بدونه دولة مستقلة حقا .

وكان من الطبيعى أن يكون أول ما تفكر فيه الدولة ، بعد زوال الامتيازات واستعادة سلطانها التشريعى ، أن تعمد إلى تصحيح نظامها المالى وإلى تحقيق العدالة والإنصاف فى توزيع الأعباء المالية على جميع المصريين والأجانب المقيمين فى مصر .

والمظهر الصحيح لتحقيق هذه العدالة هو أن كل أنواع الإيرادات ، مهما يكن نوعها ومصدرها ، ينبغى أن تخضع للضريبة فلا تعرض الضرائب على بعضها ويعفى منها البعض الآخر ، وأساس ذلك أن الوطن لا يخرج عن أن يكون أسرة عظيمة هائلة عامة مؤلفة من مجموعة الأسر الصغيرة الخاصة . وهذه الأسرة العظيمة متضامنة فى خيرها وشرها وهى ذات حاجات مشتركة ومرافق مشتركة يستفيد منها كل ساكنى البلاد بلا استثناء ، ولا مناص من تحقيقها وصيانتها لمصلحة الجماعة . فمن هم الذين ينبغى أن يقوموا بعبء الإنفاق على ما تقتضيه تلك الحاجات والمرافق المشتركة من أموال ؟ إنهم بطبيعة الحال أعضاء الاسرة . وكما أن نفقات الأسرة العادية يضطلع بها القادرون من أبنائها ، كل على قدر طاقته ، كذلك نفقات الأسرة الكبرى وهى الوطن ، لا مناص من أن يضطلع بها جميع أبناء الوطن المستوطنين فيه ، كل على قدر طاقته . وكما أنه فى الأسرة الصغرى لا يجوز أن يتخلف أحد القادرين من أبنائها عن احتمال نصيبه من العبء لأن هذا تخصص بثقل العبء على غيره ظلما ، كذلك فى الأسرة

الكبرى لا يجوز أن يتخلف أحد عن احتمال نصيبه فى الأعباء العامة لأن هذا التخلص يؤدى المجموع ويلقى العبء ظلما على غير من يجب أن يتحمله .

ومن الجانب الآخر فإن وظيفة الدولة تتسع وتتعدد يوما بعد يوم اتساعا هائلا وتزداد تبعا لذلك حاجتها إلى الأموال زيادة مطردة ، وقيام الدولة بوظائفها المتعددة شرط ضرورى لحياة الانسان وشرط ضرورى كذلك لتمكينه من الإنتاج ، فهو لا يحيا ولا ينتج إذا لم يتحقق له هذا الشرط لأنه لا يستطيع أن يعيش فى أمن ولا يستطيع أن يزرع ولا أن يحصد ولا أن يتاجر ولا أن يقيم المصانع ولا أن يمارس أية مهنة أو أى عمل ولا أن يرقى ماديا أو أدبيا إلا إذا كان هناك بوليس يدفع عنه العدوان ويسهر على سلامته وقضاء منظم يكفل له الحصول على حقوقه ، وترع ومصارف تسقيها الدولة لخدمة أراضيه ، وطرق ومواصلات تمهدها لنقل محاصيله ومصنوعاته ، وأسواق تفتحها لتصريف تلك المحاصيل والمصنوعات ، ومعاهد علمية تربية أبناء الأمة والمستشفيات لعلاجهم ، وكل مرفق من المرافق العامة وكل عمل تقوم عليه الدولة إنما يستفيد منه الجميع من قرب أو عن بعد ، فالدولة إذن عنصر أساسى عظيم من عناصر الإنتاج وهى شريك عظيم الشأن فى هذا الإنتاج إن لم تكن أكبر الشركاء فيه أثرا . فإذا قال صاحب مصنع : بأى حق تحيى الدولة وتطالبنى بنصيب من ربح مصنعى وأنا الذى أنشأته من خر مالى دون مالها فهو مخطئ لأن الدولة هى التى مكنت له من العمل ومكنت له من الربح ولولاها لما استطاع عملا ولما أحرز ربحا . وما دام الأمر كذلك فإن جميع الناس يجب أن يساهموا فى دفع مصاريف تلك الإدارة العظيمة التى تسمى الدولة لأنها تعمل لمصلحتهم جميعا ولأنهم جميعا يستفيدون من وجودها . ويجب أن يدرك كل منهم أن قيامه بتأدية نصيبه المشروع فى تلك المصاريف ليس تفضلا منه أو منة يمن بها على مواطنيه ولكنه واجب يقابله نفع أجل منه خطرا وأعظم شأنا . ويجب أن يدرك أن تهربه من تأدية هذا الواجب بوسائل الحيل المختلفة جريمة فعلية فى حق المجموع إذ يترتب عليه إلقاء العبء ظلما على غيره ممن لم يكن يجوز أن يتحملوه عنه .

على أن وجوب اشتراك الجميع فى تحمل الأعباء العامة ليس معناه أنه ينبغى أن يتحملوها بمقدار متساو أو بنسبة واحدة وإنما يكون تحملهم إياها فى حدود طاقة كل منهم — تماما كما فى نظام الأسرة — ومع التزام مقتضيات الاقتصاد العام وضروراته ، إذ أنه إلى جانب اعتبارات العدل ، وهى التى ينبغى أن يكون لها دائما المقام الأول ، لا بد من مراعاة اعتبارات أخرى عدة فى توزيع الأعباء العامة على مختلف موارد الإيراد ترجع كلها إلى صيانة الاقتصاد القومى والعمل على حماية موارد الثروة العامة .

تلك هى القواعد العامة التى يجب أن يستوحيها الشارع عند وضعه أى نظام مالى للضرائب ، وقد حقق الشارع المصرى لهذه الأغراض إلى حد بعيد فى التشريع الذى وضعه

عام ١٩٣٩ حيث فرض الضريبة على إيراد رءوس الأموال المنقولة من أسهم وسندات وفوائد تشغيل نقود ، وعلى أرباح المتاجر والمصانع وعلى كسب العمل أى المـاهيات والمرتبات والأجوروالمعاشات والإيرادات المرتبة لمدى الحياة وما فى حكمها . وبذلك أصبحت الثروة المنقولة خاضعة للضرائب كالثروة العقارية ، لأنه لم يكن من العدل أن تخضع للضرائب الأطيان والأملاك وحدها وأن تفلت منها كل ضروب الثروة المنقولة مهما يكن ربحها . وقد كان هذا التمييز بين الثروتين ظلما صارخا مؤلمـا يخالف العدل فضلا عن مخالفته للقواعد الاقتصادية والاجتماعية السليمة .

ولعل أحسن نظام مالى فى الواقع يحقق مبادئ العدل على أكمل وجوهه هو النظام الذى يقضى بأن يكون فرض الضريبة على مجموع دخل الفرد مهما تكن مصادر هذا الدخل ، وأن يعفى من الضريبة أصحاب الدخل الصغير الذى لا يتجاوز الحد الذى يعده الشارع ضروريا للقيام بأود صـاحبه ، وهو حد يختلف طبعا باختلاف مستوى المعيشة فى كل بلد عنه فى الآخر ، فاذا تجاوز الدخل هذا الحد فرضت الضريبة عليه بنسبة متدرجة فى الصعود كلما زاد رقم الدخل لا بنسبة واحدة ثابتة للجميع ، لأنه من البديهى أن الإنسان يحتاج إلى مائة الجنيه الأولى من إيراده أكثر مما يحتاج إلى مائة الجنيه الثانية . ويحتاج إلى مائة الجنيه الثانية أكثر مما يحتاج إلى مائة الجنيه الثالثة وهكذا . ولذلك وجب تكون نسبة الضريبة على الإيراد العـام نسبة تصاعدية يزداد سعرها على كل جزء من الإيراد عن السعر المفروض على الجزء السابق . وهذا النظام — أى نظام فرض الضريبة على الدخل العام — هو النظام المعمول به فى انجلترا وفى بعض بلاد أخرى ، ولكن معظم بلاد أوربا وإن لم تأخذ به فى شكله فقد أخذت به فى جوهره فإنها فرضت أولا الضرائب النوعية ، أى أنها فرضت الضريبة على كل أنواع الايراد على حدة ، ثم فرضت بعد ذلك إلى جانب الضرائب النوعية وبالإضافة إليها ضريبة على الإيراد العـام يتدرج سعرها صعودا بازدياد الإيراد فوصلت بذلك إلى ذات النتيجة التى وصلوا إليها فى البلاد الانجليزية على التقريب .

أما عندنا فى مصر فقد أخذ الشارع بنظام الضرائب النوعية ولم يفرض بعد الضريبة الإضافية على الدخل . ولكن هذه الضريبة سيجىء دورها حتما عما قريب نزولا على مقتضيات العدالة وحسن التوزيع .

أما لمـاذا لم تأخذ معظم بلاد العـالم بنظام الضريبة على الدخل العام أسوة بمـا فعلته انجلترا مع ما فى هذا النظام من تحقيق صحيح لمبـادئ العدالة ، ولمـاذا اقتصرت مصر على الضرائب النوعية ولم تكمل عملها بفرض الضريبة الإضافية على الإيراد العام فهذا ما لا يتسع له بحثى اليوم ، وقد أتحدث اليكم فيه فى فرصة أخرى .

وإلى اللقاء القريب إن شاء الله .

ضبط النفس فى الملمات

لحضرة صاحب السعادة عبد القادر الجمال باشا

المستشار الاقتصادى لبنك تسليف الزراعى المصرى

تنتاب الأمم من وقت لآخر شدائد مدلهمة ، هى فى الواقع اختبار قاس لقويم أخلاقها وسلامة تفكيرها ، ومتانة أعصابها ، فان هى صمدت إلى تلك الشدائد وعالجتها فى روية وهدوء ولم تجزع لها أكثر مما يجب ، فهى لابد متغلبة عليها ناجية من شرها سواء أطال أمد هذه الملمات أم قصر . فما لاشك فيه أنه لايمكن أن يكون هناك تفكير سليم مجد إذا كانت النفوس جامحة والأفكار مشتتة مبلبلة ، وهذه بديهية لا ريب فيها ولا تحتاج إلى برهان أو دليل ، فاذا ما تعقدت الكوارث وتلاحقت المواقف العصيبة واستفحل أمرها ، كان ذلك أدعى إلى ضرورة هدوء النفس وضبط جماحها وعدم الاستسلام إلى الهواجس ، وإلا خرج الأمر من اليد واستحالت معالجته بما تستوجبه من هدوء وفطنة وبعد نظر .

الملمات والشدائد تصهر أخلاق الأمم صهرا عنيفا حادا وتمنعها من الاستكانة إلى أيام الرخاء والطمأنينة ، فيجب على كل أمة أن تروض نفسها على مقابلة الملمات بهدوء وضبط نفس ، فهذه صفات يمكن بشىء من قوة الإرادة والعزم تعويد البلاد عليها رويدا رويدا حتى تألفها وتستريح إليها وفى ذلك الخير كل الخير لها .

ومما يساعد على ضبط النفس عند الشدائد عدم الاستماع إلى الإشاعات المثيرة التى تثبط العزيمة وتدعو إلى اليأس والتى يروجها العدو لهذا الغرض بالذات ليؤثر تأثيرا سيئا فى قوى الأمة المعنوية ويفكك من وحدتها — والتغلب على القوى المعنوية فى أى بلد كان أشد أثرا وأسرع نتيجة من التغلب على قواها المادية . فكلما نبذت الأمة هذه الإشاعات والدعايات الخطرة جانبا ولم تعرها أى عناية كان ذلك أدعى لسلامتها وأحفظ لكيانها من الاضمحلال ، وكانت الأمة أقوى على مقابلة الشدائد والتغلب عليها بقوة العزيمة وتصبر على المكاره حتى تجد لها حلا يوافق مصالحها . كما يجب على كل أمة تريد أن تدرأ عن نفسها خطر الملمات عند وقوعها ألا تستسلم إلى عواطفها عليها ، بل يجب أن يكون العقل رائدا لها وأساسا لكل مايصدر عنها من قرار أو حكم ، فالانفعالات النفسية تعكر صفو التفكير ولا ينتج عنها إلا الضرر البليغ الذى قد يؤدى إلى التهلكة ويوقعها فى أشد المواقف خطرا على أمنها وعلى سلامتها .

تنتابنا الآن فى مصر ملمات قومية متنوعة وتجتاز بلادنا، شعبا وحكومة وأفرادا، أياما عصيبة قضت بها الظروف الحاضرة القاسية، ونحن أحوج ما نكون إلى ضبط أنفسنا بقوة وحزم إذا أردنا أن نصل ببلادنا العزيزة إلى برالسلامة بين هذه الأمواج المتلاطمة. وإذا أردنا أن نتفادى أكثر ما يمكن تفاديه من شرورها المستطيرة. أما إذا استسلمنا إلى الجزع واليأس وطاشت أحلامنا وبعدنا عن التفكير الهادئ السليم فى مواجهة تلك الطوارئ المروعة استعصى علينا أن نجد لها الحل الموفق الذى يحفظ مصالح البلاد من العبث ويدرأ السوء عنها. فالاستسلام للجزع بقيصة كبرى فى أخلاق الأمم، ويجب على كل من يتولى الشؤون العامة فى البلاد أن يعمل على القضاء عليها قضاء مبرما أنى وجدت.

ومما يدعو إلى الاغتباط أن نرى أن بلادنا قد اتخذت بعض قرارات موفقة كل التوفيق فى الظروف الحاضرة — قرارات صدرت عن روية وبعد نظر — هى أبعد ما تكون عن الارتجال، قرارات صدرت بعد ضبط النفس وعدم الاستسلام إلى الجزع مما كان له أحسن الأثر فى البلاد من أدناها إلى أقصاها. وقد كانت الغالبية الكبرى لهذه القرارات قاصرة على المسائل السياسية، وينقصنا اتخاذ بعض قرارات أخرى اجتماعية واقتصادية لها وثيق الارتباط بالظروف الحالية، ونرجو أن تتخذ النفس الروح الوطنية الطيبة التى اتخذت فى القرارات السياسية، وعلى ألا يكون للعواطف فيها مدخل مطلقا، بل يجب أخذها على ضوء المصلحة القومية بعد تروٍ عميق، ولا نشك فى أننا سنصل إلى ذلك بمشيئة المولى عز وجل وحسن تقدير رجالنا العاملين للظروف المحيطة بنا.

كما يجب علينا اتخاذ الحيطة من الآن، إذ ربما تقسو علينا الظروف قريبا، فلا زالت الحالة تدعو إلى الزيادة فى اليقظة وضبط النفس والاستعداد لكل الطوارئ بكل ما أوتينا من مورد.

* * *

قد جهدت فيما سبق أن أبين ما لضبط النفس فى الملمات من ضرورة عظمى لكل أمة تريد أن تحيا الحياة الوطنية الصحيحة وتريد أن تدافع عن كيانها واستقلالها تنعم به، غير أن ضبط النفس عند الشدائد ضرورى أيضا لدى الأفراد فى حياتهم الخاصة وفى أعمالهم اليومية وما يصادفهم فيها من متاعب تتجدد من وقت لآخر، ولعل ضبط النفس لدى الأفراد هو الأساس الذى لا غنى عنه لضبط النفس لدى الأمم، فما الأمم إلا مجموعة من الأفراد التى تكونها ومتى كانت أخلاق الفرد متينة قوية فلا ريب فى أن أخلاق الأمة بأجمعها تكون قوية متينة.

والواقع أن عاطفة الفرد مما تتلاعب عند إصابته بكارثة إلى طريق الحزن والألم والقلق تبعا لنوع وظروف كل ملمة فيقل إنتاجه وتفكيره وقد يودى به.

والتاريخ قديمه وحديثه حافل بالعظات و بأمثلة تدل على ضبط النفس عند الملمات لدى بعض الأمم وما كان لذلك من أثر حسن فى تاريخ تلك الدول . ولا إخالنى بحاجة إلى تعداد هذه الأمثلة لأن ذلك يستغرق وقتا طويلا لا أملكه ، بل سأكتفى بسرد مثل واحد منها يعرفه الكثيرون .

ففى سنة ١٩١٧ وأوائل سنة ١٩١٨ إبان الحرب العالمية العظمى الماضية ساءت حال الحلفاء الحربية إلى درجة مخيفة وأشفق العالم عليهم أيما إشفاق حتى خيل للناس أن قضى الأمر وأن نهاية مقاومة الحلفاء قد قربت وأن فوز ألمانيا عليهم صار وشيكا. وقد زاد الحالة خطورة انقسام فى الرأى وقع بينهم وأصبحت الحالة المعنوية بين الأهالى على أسوأ ما تكون من جزع وهلع . ولكن ما فتئت تلك الدول إلى خطورة الموقف حتى عهدت بالحكم فيها إلى رجال عرفوا بشدة مراسهم وصدق عزيمتهم وشجاعتهم لا يعرفون للجزع واليأس معنى مع الحياة فبث هؤلاء الرجال فى روح بلادهم الشيء الكثير من إيمانهم بالنصر النهائى ووحدوا صفوف الأمة وجابهوا الموقف بشجاعة وعزم لا يعرف الملل ولم يمض بعد ذلك وقت طويل حتى كللت جهودهم بالنجاح واستقامت أمورهم السياسية والحربية وكتب لهم الفوز . ولو تمادوا فيما كانوا عليه من خوف وجزع لاستعصى عليهم الأمر وعرفوا الذل والهوان الذى يصحب الانكسار واحتلال العدو للبلاد ولذاقوا مرارة الاستعباد .

هذا مثل لأمم ضبطت أنفسها عند وقوع الشدائد فكتبت لها السلامة والنصر . كما أبدت الأمة الانكليزية أخيرا مثلا رائعا لضبط النفس عند الملمات وذلك عندما تخلت عنها فرنسا و بلجيكا واضطرت لسحب جنودها من دنكرك فى أسوأ الظروف وأشدها فتحلت الجنود عن جميع معداتها الميكانيكية والحربية فى فرنسا وعادت إلى انكلترا وقد أصبحت فى خطر شديد من غزو العدو — لم يفت هذا المركز الحرج من ساعد الانكليز بل حزموا أمرهم وصبروا وأعادوا تسليح قواتهم ووطدوا أنفسهم على القتال وحدهم . وما كان ليتسنى لهم ذلك ما لم يضبطوا أنفسهم بشدة وقسوة وما لم ينبذوا الجزع جانبا و يفكروا فى الخلاص من مأزقهم فى روية وهدوء .

بمثل هذا الخلق المتين وهذه الوطنية الفائقة تسود الأمم وتحافظ على كيانها القومى من كل عبث . و بمثل هذه الروح العالية والمثابرة على العمل المنتج الصحيح تتغلب الأمم على كل شدة قد تصادفها فى حياتها وتنجو من شرورها وتعود الى سيرتها الأولى واثقة من قدرتها على مقاومة كل ملمة قد تعترضها فى المستقبل . فهذا الدرس المفيد قد علمته بريطانيا العظمى عمليا لسائر الأمم فعسى أن نقتدى به فى كل أعمالنا القومية لنصل الى ما نتمناه لوطننا من رفعة الشأن .

الحزن أو المرض أو الموت ، العاطفة يثيرها فى غالب الأحيان عاملان : عامل الخوف على الشيء من فقده أو استحالة الحصول عليه ثانية . وعامل الحب للشيء المفقود . وعلى قدر ماتكون النسبة بين هذين العاملين يكون القلق أو الحزن قويا أو ضعيفا .

إن تطور الحياة وما يصادف الإنسان من فشل وفقر ومرض وكل أنواع الملمات على اختلافها . كل ذلك له الأثر الكبير فى توجيه نفسية الإنسان ، إلا أن عاملا واحدا ألا وهو ضبط النفس فى كل هذه الحالات من أهم عوامل النجاح — فالصبر حقيقة من نعم الله الجزيلة على الإنسان وصاحب الأثر الأول فى نجاح جميع أسباب الحياة .

ولنا فى السيرة النبوية أشرف مثل وخير قدوة لما يجب أن تكون عليه أخلاق الإنسان الكامل عند وقوع الشدائد وما تستدعيه مثل هذه الحالات من ضبط النفس ، فقد لاقى النبي صلى الله عليه وسلم صعوبات جمة وشدائد قاسية فى نشر رسالته الإلهية ولكنه ثابر وكبح جماح نفسه حتى عمت دعوته جميع أنحاء العالم فكانت هدى وسلاما للناس أجمعين .

وهناك حادثة طريفة ترويها كتب التاريخ عن الغازى العظيم تيمورلنك عندما فقد والديه وأقام عند عمه . وأراد عمه أن يفتك به ليستأثر بالحكم دونه ، ففر تيمور لنك إلى الجبال بعد أن هجره من حوله من الأمراء واستولى اليأس على الأمير الصغير وكاد يودى بحياته غما وحزنا . فبينما هو ذات يوم يختبىء عن أعين الناس فى كهف وقد اشتد به الجوع والظمأ إذ رأى بجواره عنكبوتا ينسج خيوط ليصيب بها صيدا يقتات به . وجاءت الريح فعصفت بخيوطه وأعاد العنكبوت النسيج كرة بعد أخرى والريح تعصف بجهوده كلما أتمه — راقب الأمير تيمور لنك هذا المنظر فى تعجب واهتمام متسائلا : ماذا سيكون نصيب العنكبوت بعد كل هذا المجهود الشاق . ولكن العنكبوت ثابر على عمله حتى حانت له فرصة ونسج خيوطا قوية وحصل على قوته بعد ذلك . كان فى هذا خير مشجع للأمير على ألا ييأس وأن يواصل جهاده ضد عمه الذى يريد الغدر به وابتسم له الحظ واستعاد ملك أبيه وغزا ماحوله من الممالك حتى امتدت فتوحاته من أقصى الشرق الى الغرب ودانت له البلاد .

ولو استسلم الأمير إلى الخوف والفزع لما حصل على هذا الفوز الكبير . وقد أيدت التجارب فى مختلف نواحى الحياة أن الصبر وضبط النفس فى المحن والملمات عاملان مهمان فى استعادة النشاط والوصول الى النجاح .

عبد القادر الجمال

الفلاح ورفع مستواه

لحضرة صاحب السعادة محمد بدر باشا

"محافظ أسيوط سابقاً"

سيدتي وسادتي :

تفضلت وزارة الشؤون الاجتماعية فدعتني لإذاعة كلمة أختارها ، واخترت أن أتحدث إليكم عن الفلاح ورفع مستواه و الفلاح جدير بالتحدث عنه و العناية به لأنه مصدر الخير وعماد الثروة ، وقد مر به حين من الدهر وهو شقي تعس لم يستمتع بطيبات الحياة ولم يذق لذة العيش يرقب الخير في صبر ويصلي لإصلاح في غير عنف وقد آن أن نعمل على رفع مستوى حياته إنصافاً له وشفقة عليه ، حقيقاً للمساواة بين أفراد الأمة هذه المساواة التي ينص عليها دستورنا وننادي بها ونتغنى بمجدها ، يتعين أن نعدل بين الجميع ونهيء فرص النجاح في الحياة لكل فرد من أفراد الأمة وهذه المساواة لن تكون والفلاح محروم من أبسط المقومات للنضال و للكفاح وهي المال والصحة والعلم ، إن شقاء الفلاح يرجع إلى الفقر والمرض والجهل ، والفقر أسوأها أثراً في حياته وأشدها قسوة عليه . وهو أس مصائبه ومصائب الناس جميعاً لهذا حاربته الأديان على اختلافها وأوصت ذوي اليسار خيراً بالمعوزين . وقال الإمام علي "لو كان الفقر رجلاً لقتلته" وكان قوله حقاً حينذاك وهو قول حق إلى اليوم وقد مررت به فوافق الدهر وعاينا أن نبدأ بقهره إن كنا من المصلحين ذلك في موته قتلاً للبؤس وحياة للنفوس ، فقد نزل الفقر بالفلاح إلى مستوى الماشية فساكنها حظائرها وحرمه من طعام يشبعه و يغذيه وأعرى به الأمراض والعلل فمال عنه الطبيب وعز الدواء ، وحال الفقر بين الفلاح و بين حياة الإنسان في أبسط مظاهرها ذلك عليه لباساً يقيه البرد و الحر ومنزلاً تسكن إليه النفس ، والطاقة قضت على الفلاح بالجهل ومزقت ثوب الفضيلة عنه فخبثت إليه ما للغير ودفعته إلى العدوان استضافته السجون ، والعوز دفع صغار الفلاحين في حياة العمل الشاق في سن مبكرة سعياً وراء الرزق فحرمهم ذلك من التعليم وحرم جسومهم أن تستكمل نموها ، فأصبحت هزيلة وباتت أشباح أجسام ، هذا ما جناه الفقر على الفلاح فكيف الخلاص منه ؟ إن خير سبيل لمقاومته أن نسعى لزيادة دخل الفلاح بكسبه وهناك طرق للوصول لذلك أذكر بعضها في غير تفصيل لضيق الوقت لعل المصلحين يجدون فيها ما يهتدون به . أول ما يجب عمله التحسين حال الفلاح أن نعمل على زيادة أجره لأنه قليل لا يمكنه من قضاء حاجته وحاجات من هم في كنفه من

روحة وأولاده، ويجب تحديد النهاية العظمى للأجور فى مختلف مناطق القطر على ألا يبالغ فى الزيادة سعيا لاضرر عن صاحب العمل والمنتج . إذ لو زادت الأجور زيادة كبيرة لانصرف صاحب المال إلى طريق آخر من طرق الاستثمار ، فينقص الإنتاج وتنتشر البطالة وتقل الأجور فيصيب الفلاح ضرر أردأ دفعه عنه ، ويجب أن تعنى الحكومة بالهجرة وتوزيع السكان فى مختلف الجهات ، لأن بعض البلاد مكتظ وفيها تنخفض الأجور وتنتشر البطالة لكثرة الأيدى العاملة وزيادتها عن حاجة علاوة على ارتفاع إيجار الأراضى للتزاحم عليها ارتفاعا لا يتناسب مع غلتها ، وفى هذا ضرر لصغار المستأجرين وهم السواد الأعظم . والبعض من البلاد على ظمأ إلى الأيدى العاملة لقلة السكان فاذا قامت الحكومة بتشجيع الهجرة وتنظيمها ترتفع الأجور وتقل البطالة والمناطق المكتظة وتعمر المناطق الخالية فيزيد الإنتاج العام ويزيد دخل الفلاح تبعا لذلك . وهذه ناحية من أعقد مشاكلنا ونسير على عجل الى سبب من أكبر أسباب الفقر ، وذلك أن عدد السكان فى نمو مطرد والأرض المزرعة باقية دون زيادة ، لهذا يجب أن تستصلح الحكومة كل ما لديها من بور لتدخله فى نطاق الزراعة فيزيد نصيب كل فرد من سكان البلاد . ويحسن بها أن تجزئ إلى مساحات صغيرة ما لديها وما تستصلحه من الأراضى وتوزعه على صغار الفلاحين بشروط سهلة على أن تمدهم بالمال فى بدء عملهم ليتمكنوا من استغلالها ، وفى هذا التوزيع خير عميم للبلاد ، لأنه ينشئ طبقة من صغار الملاك نحن فى حاجة إليها وهى عماد الثروة الأهلية فى جميع العالم وفى هذا منع لانتشار الملكيات الكبيرة التى لا يرجى منها خير لأنها شبيهة بالاقطاعيات فى القرون الوسطى لما فيها من تسلط الأغنياء على الفقراء والأقوياء على الضعفاء هذا ومما يزيد فى كسب الفلاحين أن يرشدهم وزوجاتهم إلى صناعات يدوية بسيطة يمارسونها فى أوقات فراغهم كما يفعل المزارعون فى البلاد الأجنبية ، ويجب إرشادهم إلى العناية بالصناعات الزراعية كعمل الجبن ومشتقات اللبن الأخرى وتربية الماشية والدواجن واختيار أفضلها لتدر عليهم بعض المال مما يزيد فى دخلهم كما هو الحال فى الدانمارك وهولاندا وسويسرا وكلها أقل منا خصبا لكنها أكثر منا مالا بفضل الصناعات الزراعية والعناية بالماشية ومنتجاتها . هذا ، ويجب أن يبث فى الفلاح حب التطلع للجديد من الأمور والعناية بالمحاصيل التى لم يألفها كالفاكهة والخضر والزهور ، ولنا ثروة ضخمة فى هذه الناحية لو عرفنا كيف نستغلها ، لأن مناخنا وخصوبة أرضنا يسمحان لنا بزراعتها على مدار السنة . ونحن على أبواب أوروبا حيث الأسواق الواسعة التى لا ينافسنا فيها منافس قوى . هذا ومما يعود على الفلاح بالربح ويرفع مستواه أن تعمل وزارة الشؤون الاجتماعية على نشر وتأسيس الجمعيات التعاونية الزراعية لتمد الزارع بنفقة الزراعة فتحميه من المرابين وتيسر له شراء البذور والأسمدة وبيع محاصيله بثمن معتدل لا غبن عليه فيه وتمكنه من استعمال الآلات الزراعية

الحديثة مما لا يستطيع شراءه لارتفاع ثمنه وصغر رأس ماله، ولتدله على كل ما فيه الخير من الناحية الزراعية مما يقع فى اختصاصها. و إذا كان للتعاون أثر محمود فى بلاد تفوقنا ثروة وعلما فنحن إليه أحوج إذ المال قليل لدينا والعلم لم ينتشر بيننا. هذا ما أرى فيه غنى للفلاح و يسرا، أما عن السبب الثانى من أسباب شقوته وهو المرض فأرى أن تسعى وزارة الصحة . ما استطاعت لتيسير العلاج للفلاحين وجعله على مقربة منهم وذلك بالإكثار من الوحدات الصحية المتنقلة، لأن المستشفيات فى عواصم المديريات والمراكز وهى بعيدة عن القرى التى تقيم فيها الغالبية من أهل الريف. و إذا كانت الوقاية خيرا من العلاج فمن الواجب نشر التعاليم الصحيـة وردم البرك المنتشرة لأنها معامل لتفريخ الجراثيم تتوالد فيها وتكثر فيجب ردمها دفعا لشرها ولينتفع بزراعتها بعد الردم، ويجب توفير المـاء الصالح للشرب فى القرى منعا لتفشى الأمراض فيها . وقبيح بنا أن نشرب ماء صفوا نقيا ويشرب إخواننا ماء قذرا ملوثا، وقد لا يجد الفلاح فى بعض فصول السنة هذا المـاء القذر الملوث فيعمد إلى المستنقعات والبرك ليشرب مما تجمع فيها من رشح وماء آسن، و إن فى هذا إنكارا لآدميته و إجحافا صارخا به كفرد من أفراد الأمة عليه واجبات وله حقوق ، وهو يقوم بما تفرضه عليـه الدولة من ضرائب والتزامات وله أن يستمتع بما يستمتع به الآخرون من سكان المدن .

لهذا يجب على الحكومة أن تعنى كل العناية بهذا الموضوع إذ لا فائدة ترجى من المستشفيات والوحدات الصحية ويرمى من كل مشروع آخر الى تحسين صحـة الفلاح مادام يشرب ماء قذرا تعافه النفس مليئا بالجراثيم، أما فيما يختص بالسبب الثالث من أسباب بؤس الفلاح وهو الجهل، فأرى أنه إذا زاد كسب الفلاح ولان له العيش وانصرف عنه المرض اتجه إلى العلم، ورغب فى الثقافة وقد تبين أن التعليم الاجبارى لم يحقق ما علق عليه من آمال لأن الأطفال جياع هزيلون فلما أطعموا اشتدت أجسـامهم ونشطت عقولهم وأقبلوا على العلم . وقد هدى وزارة الشؤون الاجتماعية بحثها فى أمر الفلاح لرفع مستواه الى انشاء المراكز الاجتماعية فكان عملها جليلا يستحق الثناء لأنها خففت آلام المرضى وسهلت لهم العلاج وأرشدت القرية إلى ما فيه نفعها وعلى كل منا أن يقدم لهذه المراكز ما استطاع من عون لمـا فيها من خير جزيل للبلاد وقد قصدت الوزارة وخيرا قصدت أن تجعل من المراكز فى مستقبل الأيام مؤسسات شعبية تحت إشرافها على أن يتولى الأهالى إدارتها لمـا فى ذلك من الاقتصاد لأموال الدولة ولتدريب الأمة على أن تباشر شؤونها وتعنى بها بنفسها ، ومن الواجب ألا تضن الحكومة عليها بالمـال لأنها بداية موفقة لإصلاح ما أشد حاجتنا إليه وأرجو أن تم الوزارة نعمتها على البلاد بتعميم هذه المراكز فى أنحاء القطر كما أرجو أن يكون للمرأة نصيب وافر ومكان مرفوع فى عمل هذه المراكز من ناحية الإرشاد والإصلاح لأنها أقدر من الرجل على تعرف مواضع الألم و إدراك معنى الشقاء لمـا أودع فى قلبها من رحمة وحنان . والإصـلاح عمل تجيده المرأة لعلاقته بالعاطفة ،

وهى قوية عنيفة عندما لما فى طباعها من شفقة . هى تحس الشقوة فتبكى لبكاء المحزون، وتسمع أنين المريض، وشكاة الجائع، فتسيل دموعها رأفة بهما وتثور للبؤس فتعطف على البائس المنكود وقولها محبب إلى النفس لما فيه من رقة فتتسع له الصدور وتعيه القلوب .

سيداتى وسادتى :

ليس إصلاح الفلاح خاصا بالحكومة دون غيرها ، هو واجب عليها وعلى كل من وهبه الله سعة فى الرزق ومكن له فى الحياة بعلم أو جاه، ولشيوخ الأمة ونوابها وكبار الملاك وأعيان البلاد فيها نصيب وافر من واجب الإصلاح، فليكن كل منهم مجاهدا فى سبيله عاملا على تحقيقه. وإن للمحرومين سهما فى أموال الأغنياء ، وللعوزين حانبا فى خير الموسرين وللمعاثرين حقا أن يتساندوا على القائمين لينهضوا، تلك فروض قضت بها الإنسانية وقررتها جميع الأديان والشرائع وإن الفلاح خليق بكل عناية فقد اخضرت حقولنا بما بذله من مجهود وكثرت خيراتنا بما نضح جبينه من عرق وامتلأت خزائن مصر ذهبا بجهده وعمله وإنه مثل جميل للصبر الجميل يعمل طول يومه تحت شمس محرقة عارى الرأس حافى القدمين لا يشكو ولا يئن، فاذا مالت الشمس للغيب رجع الى أهله مبسوط الأسارير كأنه لم يشق ولم يكد ، وتستر أطماره ثيابا طوية طيبة وسريرة نقية لم تفسدها يد البؤس، لهذا كان لزاما علينا أن نسعى لإسعاده اعترافا بماله من أياد وتقديرا لما فيه من خصال حميدة . ومن الخير أن نذيقه حلاوة الحياة ليستوفى نصيبه منها فيمسى مرارة عيش لازمه طويلا ليصبح مطمئنا راضيا وإن الساعة مرهوبة والغد مدثرا لا ندرى ماذا يريد بنا .

واذا كان الناس على دين ملوكهم فلنسر فى سيرة مليكنا المحبوب، أطال الله بقاه، أسوة حسنة ومثال رائع جميل . انظروا كيف يعطف على البؤساء والمساكين فيطعم الجائع ويكسو العارى ويحنو على المريض وتشمل رحمته الفسيحة الفلاحين فى مزارعه ولا تمتد يده الكريمة اليهم إلا بما فيه البر بهم والإحسان اليهم .

مشروعات الإصلاح

يجب أن تنبع من البيئة وتعتمد على الإحصاء والتجربة

بقلم الأستاذ سيد قطب

كثيرا ما أقرأ بحوثا وآراء فى الإصلاح الإجتماعى تتناولها الصحف والمجلات ، ليس فيها من الصفات المصرية إلا الخطوط العربية . أما ما عداها فشىء أجنبى بحت عن البيئة المصرية ، وكأن هذه الأنماط الغريبة ثياب تفكرية ترتديها هذه البحوث والآراء !

وفى يقينى أن هذا الجهد ضائع ، فمشروعاتنا الإصلاحية يجب أن تنبع من بيئتنا الخاصة بعد دراستها دراسة واعية ، وبعد تجارب حقيقية تبين مدى استعداد المجتمع المصرى لقبول هذه المشروعات ، ومقدار الوسائل العملية التى يملكها للتنفيذ .

فنجاح مشروع معين فى بلد من البلاد ، لا يعنى صلاحيته للتنفيذ فى كل بلد آخر ، ولا سيما المشروعات الاجتماعية المعقدة ، التى تتأثر بمؤثرات شتى ، بعضها موغل فى شعاب التاريخ ، وبعضها حاضر بين يدى هذا الجيل ، كما أن بعضها معنوى كامن فى النفوس وبعضها مادى واضح للعيان .

وحقيقة أن الجماعات البشرية تتشابه فى كثير من السمات الأساسية فى تكوينها ، وأن التجربة الإنسانية ملك مشاع ينبغى للجميع أن ينتفعوا به على السواء ؛ ولكن يجب أن ننظر وراء هذا إلى الاختلافات التى لا بد منها بين شعب وشعب وبين بيئة وبيئة ؛ فالمجتمع الواحد كالجهاز الواحد يدور بنظام طالما كانت أجزاؤه متناسقة ، فإذا استبدلت بقطعة منه قطعة أخرى من غير طرازه فإنه يختل أو يقف ، ولو كانت القطعة البديلة أنفس وأجود

وكل انحراف ولو ضئيل فى ظروف مجتمع عن مجتمع كفيل بفشل المشروعات الاجتماعية التى تنتقل من أحدهما إلى الآخر . فالاختلاف فى درجة الرخاء العام ، أو فى توزيع الثروة ، أو فى درجة التقدم العلمى ، أو فى التكوين التاريخى ، أو فى الرواسب الوجدانية ، أو فى البيئة الطبيعية ، أو فى نوع العمل ، أو فى توزيع السكان على الحرف . . . إلى آخر الاختلافات التى لا تنتهى كفيل بالاحتراس الشديد ، والاحتياط المفرط عند اقتباس مشروعات الإصلاح .

وقد يخفق مشروع إصلاحي و ينجح آخر في شعب من الشعوب ، ويكون المشروع الفاشل أفضل وأرقى من المشروع الناجح ، لأن هذا الشعب مستعد للانتفاع بالمشروع المفضول ، غير مهيء للمشروع الأفضل ، كالساعة التي تدور بمدول رخيص لأنه من "، ركنها" ولا تدور بمدول ثمين غير متفق مع طرازها .

ولقد كانت هذه غلطتنا الكبرى يوم اقتبسنا حاسما وتشريعاتنا وقوانيننا من القانون الفرنسي والدستور البلجيكي والتشريعات الانجليزية وسواها . وهي الغلطة التي لا نزال نتج فيها لأننا لم نعد قادرين على الرجوع عنها .

والذين قرءوا كتاب " يوميات نائب في الأرياف " للأستاذ "توفيق الحكيم" يدركون مقدار السخرية البادعة من المفارقات الحية الصارخة بين عقلية القانون وعقلية الشعب يطبق عليهم . ولا أستطيع أن أنقل هنا فصولا كاملة من هذا الكتاب ، ولكني أدهش كيف مر هذا النقد دون أن يحدث تعديلا أصيلا في عقلية التشريع المصري ؟ !

وقد كانت هذه غلطتنا كذلك يوم أقمنا أساس ثقافتنا العقلية والروحية على مناهج فرنسية أو انجليزية في مدارسنا ، دون أن نفصل هذه المناهج عن قلب الأمة المصرية وتاريخها وديانتها ، ومقوماتها الاجتماعية والعقلية والروحية ، وعلى مطالبها الاقتصادية والعمرانية ، فكانت ثمرة هذا الاقتباس التقليدي هي أولا : " برج بابل " العقليات المختلفة التي تضمها مصر اليوم في جيل واحد . وهي ثانيا الاختلال بين مطالب السوق وبين أنواع الدراسة ، ذلك الاختلال الذي نشأت عنه أزمة التعطل والتزاحم على الوظائف الحكومية . فالمشاهد أن هناك صناعات وأعمالا في السوق لا تجد المتخصصين فيها من خريجي المدارس فتستخدم سواهم ممن علمتهم التجربة والممارسة ، بينما توجد دراسات في المدارس لا مقابل لها في الصناعات والأعمال فلا يجد المتخرجون فيها محلا لاستخدام ما تعلموه .

وأخيرا جدا عرفنا أن التاريخ المصري والديانة الإسلامية ركنان أساسيان في شخصيتنا القومية فأخذنا نعمل على إبرازهما في مناهجنا المدرسية . وأخيرا جدا كذلك عرفنا أن مناهج المدارس يجب أن تطابق الحاجات العملية في السوق ، ولا زلنا نحاول التوفيق بينهما ولكنا لم نفكر في استخدام الإحصاء الدقيق الذي يكشف لنا عن قواعد هذا التوفيق !

وكانت هذه غلطتنا يوم صنعنا كل شيء ، ويوم نصنع كل شيء كذلك ! فنحن ندعو إلى السخرية حقا أن نحاول التحضر على طريقة القرود ، ولن نتحضر على هذه الطريقة كلما حطرنا أن نخطو خطوة في الأمام ، كأنه من المحرم أن نستلهم طبيعتنا وبيئتنا وتاريخنا وضرورتنا أي تفكير أو تحضير .

والأمم الحية تتقارض الحضارات وتتبادل التجارب ، ولكنها تطبعها بطابعها ، وتتمتع بحرية الاختيار والتعديل فيها ؛ أما الذين يحاكون القرود فلن يتحضروا ولن يرتقوا ولو اقتبسوا أرقى الحضارات .

والمقياس فى هذا هو الاختراع والابتكار ، فالأمة التى تملك حرية الاختيار والتعديل والتنويع تخترع وتبتكر وتضيف شيئا جديدا إلى تراث الإنسانية ، أما الشعوب المقلدة فتبقى هكذا مقلدة ، لأن القردة تقلد ولا تبتدع !

فيجب إذن أن نخلص من لعنة التقيد فى مشروعاتنا الإصلاحية الاجتماعية على وجه الخصوص ، وأن نستق هذه المشروعات من البيئة المصرية بعد دراستها دراسة وافية ، دون التأثر بما هو متبع فى بلد آخر قد يختلف عنا فى نشأته التاريخية أو مقوماته الاجتماعية أو بيئته الطبيعية ، أو توزيع ثروته وسكانه ، أو نسبة المتعلمين فيه . . .

يجب أن تكون لنا حرية البحث والتجربة ، واستقلال التفكير والاتجاه . وتلك الحرية وهذا الاستقلال ، لا يمنعان من الانتفاع بمجهودات الشعوب التى سبقتنا فى الإصلاح الاجتماعى .

ونحن خليقون أن نجمع بين الاستقلال فى الرأى والانتفاع بتجارب الآخرين إذا أخذنا بوسائل البحث وطرائق التفكير التى ثبتت صلاحيتها ، دون أن نأخذ المشروعات الجاهزة التى انتهت اليها الأمم الأخرى

مثل ذلك أن كثيرا من الشعوب الأوربية والأمريكية اتخذ الإحصاء الدقيق وسيلة للمشروعات الإصلاحية ، بل وسيلة لجميع المشروعات ، فلا ضير علينا فى اتخاذ هذه الوسيلة ولا مطعن فى استقلال تفكيرنا حين ننتفع بها ، أما مشروعات الإصلاح المترتبة على نتائج الإحصاء فهى التى يجب الاستقلال فيها ، لأنها خاضعة للظروف المحلية فى كل شعب من الشعوب .

* * *

والآن ننتهى الى نتيجة من هذا الحديث : هى أن البيئة المصرية يجب أن تتهما مشروعات الإصلاح الاجتماعى ، وأن خير وسيلة لأن تلهما هذه البيئة مشروعات مناسبة هى الإحصاء الدقيق . وأن نقل المشروعات الجاهزة عن أمم الغرب أو الشرق عبث فارغ وجهد ضائع ، قبل أن يثبت الإحصاء وتدل التجربة على أن الظروف هنا وهناك متشابهة .

والإحصاء يجب أن يشمل كل شىء فى مصر . يجب أن يشمل بيان الثروة العامة وعدد السكان ، وتوزيع الثروة وتوزيع السكان ، كما يشمل توزيع الثقافة والصحة والعمل والحقوق والواجبات . فالواقع أن هناك خللا لا نماراة فيه فى توزيع هذه الأشياء جميعا ، وأنه لا توازن بين الأعباء الملقاة على مختلف الكواهل . وإيجاد هذا التوازن هو أساس كل إصلاح يرجى له النجاح .

إحصاء الثروة ومواردها ، وإحصاء السكان ووسائل المعيشة ، وإحصاء المرضى وأنواع الأمراض ، وإحصاء المتعلمين ودرجات التعليم ، وإحصاء الحرف والمشتغلين بها ، وإحصاء المحتاجين للعناية ووسائل هذه العناية .

الميزانية العامة للموارد والمصادر فى مختلف نواحى النشاط ، للمطلوب والموجود من كل شىء ..... هى التى تنير لنا الطريق ، وتكشف عن حقيقة ثروتنا العامة ، وتبين لنا الممكن والمستحيل ، وتنقذنا من الإفراط والتفريط على السواء .

ومما لا شك فيه أن الإفراط فى آمال عريضة لا نستطيع تحقيقها خطر كالتفريط فى تحقيق آمال قابلة للتحقيق . ولكن ماذا غير الإحصاء يستطيع أن يرشدنا الى هذا وذاك ؟

كيف ننفذ سياسة الملاجئ مثلا قبل أن نعرف عدد اللاجئين وندرس أسباب حاجتهم إلى الالتجاء ونتبين مدى قدرة الدولة والأمة على كفالتهم ، وننأكد من حقيقة إنتاجهم داخل الملاجئ وخارجها . . . إلى آخر هذه الاعتبارات ؟

كيف نحاول معالجة مشكلة البطالة ، قبل أن نحصى عدد العاملين والمتعطلين ونوع كفاياتهم فردا فردا ، ثم نحصى حاجة المطلوب منهم فى مختلف دوائر الأعمال ، ونعرف حاجة السوق للانتاج ، وأثر هذا الانتاج فى الثروة العامة . . . الى آخر هذه الاحصاءات ؟

كيف نضع الأسس لتفريج أزمة الزواج ، قبل أن نتبين حقيقة هذه الأزمة بالرجوع إلى إحصاء الذكور والإناث ، والظروف الاقتصادية والاجتماعية التى تتحكم فيهم وعدد المطلقات وأسباب الطلاق وعدد الأرامل وبواعث الترمل ... إلى نهاية هذه المعلومات ؟

وهكذا فى كل ناحية من نواحى الحياة ... .

وفى اعتقادى أن هذه هى المهمة الأولى لوزارة الشؤون الاجتماعية ، وأن خمسة أعوام بل عشرة تنقضى فى هذه المهمة ليست بالزمن الطويل . وهى فترة يجب أن تستنفدها هذه الوزارة الناشئة فى الإحصاء والتجارب ، قبل أن تقدم على أى مشروع مستعجل لم تستوف بحثه ولم يعتمد على الإحصاءات الدقيقة ، التى تحدد نوع المشروعات ومداها ، وتبين وسائل تنفيذها وموارد الانفاق عليها .

فإذا قدر لهذا الرأى أن يؤخذ به ، فله عندى تكملة لا بد منها ، ولا نفع له بدونها : إنى أسيئ الظن بالمشروعات والاقتراحات التى تتخذ هنا فى مكاتب القاهرة بين الأوراق الصامتة . تلك المشروعات الخيالية التى لاتتفق مع الحالات المراد علاجها هنالك فى الريف البعيد أو فى الأوساط الفقيرة .

وكم قرأت أو شاهدت مشروعات و إرشادات تدعو إلى الضحك مما وضع هنا فى المكاتب المجهزة بالمدافئ الكهربائية فى الشتاء والمراوح الكهربائية فى الصيف ، و بين أقداح القهوة والمرطبات وعلى ضوء تقريرات ومشروعات أوربية أو أمريكية !

قرأت مرة إرشادات صحية موجهة إلى فلاحين ليحلبوا اللبن حلبا صحيا جاء فيها :

(١) يجب أن يكون المكان الذى يحلب فيه الماشية وما يجاوره نظيفا جيد الإضاءة والتهوية تدخله الشمس وفضاء بكمية كافية .

(٢) يجب أن يكون الحيوان نظيفا وضرعه مغسولا جيدا بالماء والصابون هو والحلمات بمنشفة جافة نظيفة قبل الحلب .

(٣) يجب على الحلاب قبل أن يبتدئ فى الحلب أن يلبس ملابس نظيفة ويغسل يديه جيدا .

(٤) يجب رفع اللبن بعد الحلب مباشرة وترشيحه بمرشح خاص للبن وإذا لم يتيسر ذلك فيمكن ترشيح قطعة نظيفة من القماش .

(٥) تشطف الآنية التى يحلب فيها اللبن بالماء وتعقم بالبخار وإذا لم يتيسر البخار فتغسل مرة أخرى بالماء المغلى المضاف إليه الصودا .

(٦) أقمشة الترشيح والفوط المستعملة فى تجفيف الضرع يجب غسلها جيدا وتعقيمها وذلك بالغلى بعد استعمال كل مرة .

وقد بلغت هذه الإرشادات الصحية ست عشرة مادة ، وهى مثل جيد للتفكير المترف على المقاعد الوثيرة بين حفيف المراوح الكهربائية وبرد الشراب المثلج فى مكاتب القاهرة السعيدة .

أما الريف الحزين الكئيب البائس المحروم فلا صورة له ولا ظل فى هذه الإرشادات . وذلك مثل الكثير من اقتراحاتنا ومشروعاتنا فى الإصلاح الاجتماعى !

إن مشروعاتنا الإصلاحية لا يمكن أن تكون حية وأن تضمن لها الحياة إلا إذا وضعت على مصاطب الريف وبين أكواخ الفلاحين والعمال ، وإلا إذا كتبت بمداد من العرق والدم والدموع فى هذه الأوساط المنبوذة التى لا يعلم واضعو المشروعات عنها شيئا .

هنالك حيث يعيش الفلاح ثلاثين قرشا فى الشهر - فى أحسن حالاته — وحيث لا توجد المنشفة ليجفف بها وجهه لا ليجفف بها ضرع بقرته . بل حيث لا يوجد الماء النظيف الذى يغسل به عينيه فضلا على الماء المغلى المعقم !

هنالك فى هذا الجحيم الذى يصطلى فيه الفلاحون والعمال يجب أن تنضج المشروعات وتدرس القوانين ، وفى تلك الباءات والكهوف والجحور ينبغى أن تفرخ الآراء والاقتراحات . أما فى مكاتب القاهرة ، وبين صحيح سيارات الفخمة وسماط العمارات الشاهقة فكل تفكير لخيالى وكل اقتراح مثالى ، كما يشرع سكان الفردوس لسكان الجحيم !

* * *

ينبغى إذن أن تكون لوزارة الشؤون الاجتماعية فى خلال فترة البحث والإحصاء خلايا متفرقة فى الريف وأحياء العمال ، تتخذ مقرها هنالك وتندس فى هذه الأوساط ، وتعيش

عيشتها وتمارس آلامها وآمالها ، ثم تكتب التقريرات وتقترح المشروعات . وفى أثناء ذلك كله تقوم بالتجارب العملية على مثال ما ذكره " الدكتور أحمد حسين " مدير إدارة الفلاح فى مقال له بعدد يوليه من مجلة الشؤون .

وذلك — ولا شك — تكاليف ثقيل ، ولكن ينبغى أن يقوم على التطوع والتضحية إن أمكن وإلا فيجب أن يقوم على التجنيد الإجبارى لأعضاء هذه الخلايا الأساسية .

وقبل أن تنبث هـذه الخلايا وتقوم بواجبها كاملا عدّة سنوات ، وقبل أن يكون لوزارة الشؤون الاجتماعية من المـوارد ووسائل البحث ما يمكنها من هـذا العمل ، يجب ألا تقدم على مشروعات مرتجلة ، ويجب كذلك ألا تلام على تقصير أو إهمال .

وخير لهذه الوزارة وللأمة معها أن تقضى هذه السنوات فى الدرس والبحث وفى إجراء التجارب وجمع الاحصاءات ، من أن تلهبها بالاستعجال فى مشروعات غير مدروسة ولا مستوفاة ، تضيع النفقات فيما سدى ، ويتبين بعد فوات الأوان أنها غير صالحة للبيئة ولا متمشية مع الظروف .

وفى سنوات الحرب قد تعجز الميزانية عن إمداد هذه الوزارة بنفقات المشروعات الكبيرة ، وليس هذا شرا كله ، فقد تكون هذه الأزمة باعثا على التريث والبحث المستفيض ، فإذا تحقق ذلك وأخذت منذ الآن فى القيام بالاحصاءات والتجارب لم تكن هذه الفترة بالفترة الضائعة فى عمر الوزارة الناشئة التى لا بد أن تنمو وتكبر على مدى الأيام .

سيد قطب

واجب الشعب نحو المهاجرين

لحضرة صاحب العزة محمود حسيب بك

مدير البحيرة

لما كانت حالة المهاجرين من الأحوال التي تشغل الأذهان في الوقت الحاضر طلب إلي أن أتحدث في واجب الشعب نحوها. وبما أن كلا الفريقين له حقوق وعليه واجبات بعضهم بالنسبة الى بعض، رأيت أن أوجه الكلام اليهما معا .

فغير خاف على الشعب أن المهاجرين هم الذين خرجوا من ديارهم مذعورين مخلفين وراءهم بلدا استوطنوه وأحبوه ومالا جهدوا فيه كانوا يحرصون عليه ويستبقونه، خرجوا تدفعهم المحنة القاهرة قلوبهم محطمة وأفكارهم مشتتة. هؤلاء وفدوا على قوم آمنين مطمئنين في أمن وسلام وعيشة هادئة ونعيم وكلهم أمل في أن يجدوا من إخوانهم صدورا رحبة ونفوسا طيبة وقلوبا مليئة بالعطف والحنان، فحق على هؤلاء الآمنين أن يحمل كل نفسه على التضحية والإيثار ليستطيع بكرمه أن يخفف عن أخيه في الإنسانية عادية الأقدار وليتصور حالة المهاجر إذ خرج وليس لديه وقت للتفكير في تدبير شؤونه وحزم أموره وإمعان فكره حيث دهمته الحوادث وفاجأته المحن. فإذا به يقذف بنفسه في زحام مهول هو سياق عنيف للهروب من أوهام الموت لا يكاد يحمل حاجته بل لا يكاد يصحب بنيه في ذهول الخوف وهواجس الشر. ليتخيل الآمن السالم كل ذلك وكيف ان المهاجر كان في عيشة طيبة وأمن وسعة وما الذي كان ينتظره من صادق المعونة من الغير لو وضع نفسه في مركزه — لاشك أنه لو تصور ذلك لتنازعت قلبه عاطفة الرحمة والرقة، ولتجاذب صدره شعور الرأفة والمروءة، ولغالبه البر والجود، ولخالجته النخوة والشهامة.

إننا لا نبحث عن الباعث ولا نفتش عن الدافع اذ أن الناس مختلفون في مدى تلقيهم للكارثة متباينون في ثباتهم لها. ويعود ذلك الى الحالة النفسية لكل فرد منهم والى ثقافتهم أو شؤونهم العائلية وأعبائهم الشخصية أو عملهم وطبيعة مهنهم أو حالة صحتهم ومرضهم أو أعصابهم واستعدادهم. فبعض الناس يروعهم كل شيء ويشيع في نفوسهم أهون الأمور وتثيرهم أتفه الحادثات، وبعض الناس لا يأبه إلا للجليل من الأمور والمدلهم من الخطوب، وفريق ثالث ثابت العزم لا تزعزعه الأيام ولا تنال منه الخطوب، وعلى كل فقد هاجر من هاجر ولجأ المضطرب الى الامن حق عليه إيواؤه وإكرام وفادته وقضاء حاجته وتخفيف ألمه والحدب عليه وقضاء مصلحته وإدخال السرور إلى قلبه ومواساته في وقت شدته بقدر سعته واستطاعته .

وقد تخلق السلف الصالح بكل هذه الأخلاق الكريمة فضلا عن تخلقهم بخلق الإيثار العظيم. فقد جاء رجل يشكو شدة الجوع الى النبي صلى الله عليه وسلم قائلا يارسول الله إني مجهود فلم يجد عنده طعاما وطلب إلى أحد أصحابه أن يضمه فآثره ذلك الصحابي على أهله وأولاده، فلما غدا قال له صلى الله عليه وسلم مثنيا عليه وعلى زوجه (عجب الله من صنيعكما الليلة) أي رضي الله فعلكما رضى عظيما. وبذلك أثنى الله عليه في الكتاب الكريم فانظروا الى هذا الرجل كيف يترك نفسه وأولاده وامرأته دون طعام ويؤثر ضيفه بما عنده ويضن به على نفسه وأهله تحقيقا للأخوة الإنسانية .

فنحن اذا دعونا لتخفيف الوطأة عن هؤلاء المنكوبين بأن نستقبلهم بالعطف والبشر وأن نواسيهم في بأسائهم ونخفف عنهم ضراءهم وأن نقال متاعبهم وآلامهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، فنساعدهم في إيجاد مأواهم إن لم نستطع إيواءهم ونعينهم في الحصول على طعامهم إن لم نستطع إطعامهم، وإن لم نستطع هذا ولا ذاك فكلمة طيبة، فليكن كل منا أخا للمهاجر وأبا للصغير منهم ولتلن القلوب لهم، ولنبذل من نفوسنا وأموالنا وجهودنا وما وهبنا الله في سبيل راحتهم. وحسبنا في مواساة هؤلاء المهاجرين ومعاملتهم ما جاء في كتاب الله الكريم اذ يقول جل شأنه :

"لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ".

ففي هذه الآية الكريمة يخص المولى سبحانه وتعالى الفقراء من المهاجرين، وفي هذا أبلغ دليل على ان القادر يجب أن يأكل من ماله أو عمل يده. وفي الاية ثناء على الأنصار فاستقبالهم المهاجرين بالعطف والحنان وإيثارهم لهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة : أي فقر. وكذلك في الآية ما يؤيد أن الإيثار علامة النجاح والفلاح، فلا ينبغي أن نتنكر لهم ولا نتخلق بخلق الأنانية والآثرة. ولقد أعجبت بالفكرة التي أبداها معالي وزير الوقاية في منشور أذاعه يحض فيه بعض الأهلين الذين يقطنون في مساكن يمكن أن تتسع لإيواء بعض المهاجرين : فذكر أنه يجب عليهم أن يضغطوا أنفسهم في بعض بيوتهم ويفسحوا البعض الآخر لإيواء المهاجرين. وجدير بنا أن نعلم أن خير الإنفاق ما كان من أحب الأشياء الينا :

"لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ" .

فلا يقصر الجود على الفاسد أو التالف حتى لا نكون ممن قال الله فيهم :

"وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ" .

ذلك واجب الشعب نحو المهاجرين، أما واجب المهاجرين نحو الشعب : فعلى المهاجر أن يضع نصب عينيه أنه يعيش عيشة مؤقتة وأنه فى ظرف استثنائى لا يلبث أن يزول وأنه يشارك شخصا آخر غريبا عنه فى منزله أو طعامه، بخدير به ألا يطمع فى الراحة كلها وألا يصم أذنه عن واجب اللياقة والذوق السليم والمجاملة وأن يتغاضى عن الفوارق الاجتماعية : فلا يجعل من الضيافة سببا يؤذى المضيف فيحمله ما لا يطيق، بل يكون حسن المعاملة يحمل الناس على حبه وعدم التأذى من وجوده كما أنه يجب عليه ألا يدخر وسعا فى تحصيل قوته بكل الوسائل الممكنة والطرق الموصلة الى ذلك فلا يتكاسل ارتكانا على مدد يصل اليه أو طمعا فى معونة ينالها من جهة من الجهات .

وبهذه المناسبة يجدر بى أن أنوه بما نبه اليه معالى وزير الوقاية فى هذا الصدد وهو أن بعض المهاجرين يؤثرون أن يقعدوا عن العمل معتمدين على كرم الشعب وإنفاق الحكومة عليهم وقياما بشؤونهم متجاهلين أن لكل هذا طاقة واحتمالا محدودين فقد بين لهم أنه يجب عليهم أن ينشطوا لطلب الرزق وأن يلبوا نداء العمل ، بخدير بهم أن يعملوا بقول عمر رضى الله عنه : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى فقد أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . فعلى المهاجر أن يطلب رزقه ما استطاع وأن يضغط نفسه فلا يتغى المتعة كاملة وأن يفضل الأكل من عمل يده والكسب بعرق الجبين ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده .

فى مثل هذه الظروف الدقيقة يجب أن تبدو شجاعة المصريين فى أروع مظاهرها وأسمى صورها، تلك الشجاعة التى امتاز بها المصريون من قديم العصور وما زالت تملأ القلوب وتفعم الأفئدة يعمر قلوبهم الإيمان القوى بأنه ما من خير أو شر يصيبهم إلا بأمر الله ولا مفر مما كتب لهم ففيم الجزع وعلام الذعر .

وها هى الحكومة قد أعدت فى الاسكندرية من المخابىء عددا وفيرا لوقاية الأهالى من المدنيين، ولم تقصر فى شأن من شؤون الوقاية من حيث إنشاؤها أو الدفاع عن المدينة مما خفف آثار الإغارات إلى حد كبير وهى تسارع إلى إزالة آثار الإغارات الماضية بما تستطيع من الوسائل وتدبره من شؤون الوقاية والمحافظة على الأرواح والأموال إذ لا معنى لأن يقف الناس أعمالهم ويهجروا مصادر رزقهم وكسبهم، بل يجدر بهم أن يستمروا فى عملهم ويداوموا نشاطهم فالعمل هو ميزة الحياة وضرورة من ضروريتها، تكون الحياة بدونه تافهة مملة وتبدو فراغا لا نفع فيه ، والعمل واجب الإنسان فى أية بقعة من الأرض سواء فى الاسكندرية

أو فى غيرها فلا خير فى حياة التعطل والكسل ، ولا أرى فى الشخص الذى يقبل أن يعيش عالة على غيره أو أمته أو من النسول أية ناحية من نواحى الرجولة الحقة والمروءة والهمة ، ومن لاعمل له لا خير فيه ، فتلك السواعد الفتية وهؤلاء الرجال الأشداء هم الذين يبنون الحضارة والمدنية . فالإنسان، هو الذى ينشىء المدنية لا المدينة هى التى تنشىء الإنسان . وقد قامت الحكومة بالرغم من ذلك فى فترة قصيرة بما أسعفت به المنكوبين وأنقذت به الكثير من الأرواح والأموال ، فندبت كثيرا من خيرة الموظفين وعبأت جمهورا كبيرا من العمال وأوفدت كثيرا من الإخصائيين حتى استطاعوا فى أقصر وقت الوصول إلى أكبر نتيجة.

وإنه ليجمل بنا بعد كل ذلك أن نتفرغ لجليل من الأمور وأن نترك النقد الذى لا فائدة فيه ولا طائل تحته وأن نقوم بواجبنا ونلبى الدعوة إلى الاشتراك الفعلى فى الإنقاذ، وعلينا أن نبث الحزم والشجاعة فى النفوس الضعيفة ونقوى من عزائم المنكوبين فهذا هو دورنا الذى يليق بنا أن نؤديه ونستحق عليه الشكر والثناء .

إن ما يجيش بصدر المهاجر من الآلام بعضه سببه الذعر المبالغ فيه ، والبعض الآخر سببه المتاعب التى صادفها فى أول هجرته ولا تلبث أن تزول بعد استقراره وإن ما يخالج جمهور الشعب فى المدن المهاجر إليها من خواطر مقلقة نتيجة ما يشاهده من تدفق سيل المهاجرين لا تبقى طويلا فسرعان ما تتضح لهم الحقيقة التى لم تكن تستدعى كل هذه الضجة . والآن وقد بدأ النظام يأخذ دوره وعادت الإجراءات الفعالة إلى وضعها الصحيح . فوضعت الأنظمة الدقيقة لضمان سير الحياة العادية المثمرة وجب علينا أن نركن إلى العمل ونلبى نداء الضمير والوطن .

ومما يجدر ذكره ويجب لفت الأنظار إليه أننا نجتاز الآن ظرفا استثنائيا قد تنتهى ضرورته فى أية لحظة، ومتى أدرك الكل ذلك — سواء المهاجرون أو الشعب — قل تضيق صدور أحد الفريقين بالآخر، فواجب المهاجر هو واجب اللاجىء المؤقت وواجب الشعب هو واجب المضيف الكريم .

إن لنا فيما تفضل به جلالة مليكنا المفدى من زيارته للمناطق المنكوبة وفيضه العميم على المهاجرين لأسوة حسنة ، وما قامت به جلالة الملكة وسمو الأميرات الكريمات من مواساة المنكوبين بأنفسهن فى مهجرهم وما أفضن به عليهم من هدايا والكلمات المواسية المشجعة التى كان لها أطيب الأثر وأجمل الوقع فى نفوس المنكوبين خاصة وعند الشعب كافة لقدوة كريمة وما قامت به كرائم السيدات الفضليات من الاضطلاع بأمر راحة المهاجرين وشؤونهم ، محسنات فى قيامهن بها مخلصات فى أدائها على الوجه الأكمل ، لخير تعزية تقابل بأجمل الثناء . حفظ الله مولانا المليك وأدام عرشه وكتب له العزة ولبلاده السلامة ما

محمود حسيب

الغذاء الصحى للفقراء

لحضرة صاحب العزة محمد عزيز بك .

مدير أسيوط بالنيابة

يشغل المفكرين اليوم ، ما تعانيه طبقات الفقراء ، من ضعف مستوى الصحة العامة ، التى هى عماد الثروة ، ومقياس الإنتاج القومى . فهم لاينقطعون عن التفكير ، فى استنباط أفضل الوسائل ، وأقلها تكليفا ، وأقربها متناولا لتخفيف وقع هذه المحنة ، على هذه الطبقات ، بحيث يرجى أن يأتى اليوم ، الذى تسـعد فيه البلاد ، بأيد قوية عاملة ، فياضة الإنتاج .

لا جدال ، إن الطعام الصحى ، هو الأساس ، الذى يمكننا به ، أن نبنى أجساما قوية ، وسواعد مفتولة ، تعمل فى كل ناحية ، من نواحى الحياة فى البلاد . فتنمو الثروة العامة ، ويزداد الإنتاج القومى إلى الحد الذى يصبو إليه ، كل مخلص لأمته ، ووطنه . وهذا الطعام ، يجب أن يراعى فى اختياره ، حالة هذه الطبقات الفقيرة ، بحيث إنه فى الوقت الذى يكفل لأبدانهم الحصول على العناصر الغـذائية ، يكون فى مقدورهم ماليا ، الوصول إليه ، والتزود به .

ومن المسلم به صحيا ، أن الطعام ، لا يعنى طرد الجوع فقط ، بل يجب أن يلاحظ فى اختياره ، الشرائط الصحية ، وما يفيد الجسم منه ، حتى يتحقق الغرض المنشود ، وهو خلق أجسام قوية ، تعمل فتنتج ، وتنتج ، فتغنى بإنتاجها البلاد . إذ الثروة العامة ، ليست مالا وعقارا فحسب ، بل يجب أن يدخل فى حسابها ، الصحة العامة ، لأنها من أكبر العوامل ، فى تقويم ثروة الأمة ، ووزنها بالميزان الصحيح .

وكلنا يعلم أن الفقير يأكل ، لانه يجوع وموارده القليلة لاتجعل له فرصة للاختيار ، فطعامه طعام ضرورة إن صح هذا التعبير ، ونحن نريد للفقير طعاما ، يجمع الى تيسير الحصول عليه ، العناصر الغذائية التى تكفل له صحة وعافية ، فيستطيع معهما القيام بما هو ملقى على عاتقه من أعباء العمل وعنائه ، نريد أن نيسر للفقير طعاما صحيا ، يستطيع أن يحصل عليه فى غير عنت ولا إرهاق ، فليس من الرحمة أن يظل هذا المسكين ، مشدودا الى عمله ، من الصباح الباكر الى مغيب الشمس

فى جهد جهيد ومشقة منهكة حتى إذا تناول طعامه لم يزد على أن يملأ معدته إن ملأها دون مراعاة لما هو مفيد له ، أو غير مفيد ، سواء عليه أكان هذا الطعام ، مما يقوم بأوده أو لا يقوم .

لا لا ، هذا فضلا عن مجانبته ، لما حض الله عليه من الرفق والاحسان اليه ، مضيع له ، مقال لإنتاجه الاقتصادى مبدد كل التبديد لهذا الذخر الاقتصادى العظيم .

نعم ، لقد ساهمت مطاعم الشعب ، بنصيب كبير ، فى إيجاد غذاء صحى رخيص ، فى متناول كل فقير دفعه تقريبا .

وهى بذلك ، تعد نواة أولية لمشروع التغذية العام ، مع مراعاة الشرائط الصحية ، والحالة المالية لهؤلاء الأفراد الفقراء ، فإذا اتسعت هذه المطاعم بحيث تسع أكبر عدد ممكن من الفقراء ، وصار تعميمها بكل بلد بمصر ، بفضل ما يساهم به أغنياء كل اقليم وهيئاته النيابية ، فان الفقير يستطيع الحصول على وجبة من الطعام كافية ، يرى ثمنها شيئا يستطيعه أو ليس عزيزا عليه ، ولكن مطاعم الشعب ، ليست هى كل العلاج للحصول على غذاء صحى للفقير ، فهى مهما ، اتسعت لن تكون فى متناول الجميع فى وقت واحد ، ويجب التفكير فى وسيلة أكثر تناولا ، وأقل تكليفا بالنسبة للفقير ، فما هى هذه الوسيلة ؟ أغنانا عن البحث عنها واستنباطها ، حضرة صاحب العزة بيومى بك نصار مدير أسيوط ، فقد كشف عن مشروع هين التكاليف ، كاف كل الكفاية لتحقيق هذه الغاية ، وذلك عند ما هاله ما وصلت اليه صحة طلبة المكاتب الأولية من الضعف ، والسواد الأعظم منهم ، ان لم يكن كلهم من الفقراء ، فنفذ مشروعا فى منطقة فقيرة ، اختارها بمركز أبنوب ، عدد تلامذتها ٢٤٠٠ تلميذ وتلميذة ، يتضمن تقديم وجبة من الطعام ، كل ، يوم بها من العناصر الغذائية ، ما يكفى ، وقد قام باختيار مواد هذه الاطعمة ، التفتيش ، الصحى لمنطقة وزارة المعارف ، وروعى بجانب توافر العناصر الصحية المختلفة فيها ، اتفاقها مع بيئة التلاميذ .

وفيما يلى بيان هذه الأطعمة :

(١) لحم "عجالى مطبوخ" بالسمن والأرز والطماطم مرة واحدة فى الأسبوع وتتكلف الأكلة الواحدة للتلميذ ، مبلغ ٥,٠٦ من المليمات .

(٢) عدس مطبوخ بالسمن والأرز مع قطعة من الليمون ، مرتين فى الأسبوع ، وتتكلف الأكلة الواحدة للتلميذ ، مبلغ ١,٩٣ من المليم .

(٣) فول نابت مطبوخ بالسمن والطماطم ، مرتين فى الأسبوع ، وتتكلف الاكلة الواحدة للتلميذ ، مبلغ ١,٨٩ من المليم .

أما الخبز، فيستحضر التلاميذ عادة، لتوافر هذه المادة الأساسية لدى الجميع و بلغت تكاليف الأكلة الواحدة ٢,٥ مليم فى المتوسط .

وقد اقترح احضرة مراقب الصحة المدرسية بوزارة المعارف فى تقرير له عن نظام التغذية المذكور، أن تزاد على أصناف الأغذية، بعض الخضر، كالخس أو الجرجير أو الكرات أو الخيار، بمقدار ٣٠ أو ٤٠ جراما للتلميذ كما أشار حضرته، بتقديم الجبن القريش فى وجبات الظهر، لاحتوائه على عناصر غذائية ثمينة .

ولقد كانت نتيجة هذا المشروع مدهشة، فقد ذهبت حالات الأنيميا، وآثار الضعف، التى كانت بادية على وجوه هؤلاء المساكين . وبدا التحسن ظاهرا عليهم، وازداد وزن بعضهم، بنسب تحسب من الغرابة بمكان .

والمشروع كما يبنا قليل التكاليف، سهل المتناول الأمر الذى حدا بوزارة الداخلية . أن تطلب من حضرات المديرين، زيارة المنطقة التى ينفذ بها هذا المشروع، للنظر فى تطبيق نظامه فى اقاليمهم وعندئذ تهم الفائدة المرجوة، طبقات كثيرة العدد من أبناء هذه الأمة، فيصبحون فى الغد، أعضاء نافعين فى جسمها وتهيأ بذلك لهم، الفرصة للنزول الى ميدان العمل، بعد انتهاء مرحلة التعليم الأولى، مزودين بصحة البدن وسلامة الفكر، قادرين على الانتاج فى شتى نواحى النشاط .

* * *

لست أقول اننا نطبق المشروع بعينه، على حالة الفقير، و إن كان لا يوجد ما يمنع من ذلك، ولكنى أقول إن هذا المشروع، هو خطوط أولية، أو اساس المشروع، الذى نتحدث عنه الآن، وان قليلا من التغييرات فيه، تجعله وافيا كل الوفاء بالغرض الذى نرمى اليه، وهو الحصول على غذاء صحى للفقراء، من غير الفريق الذى يمكن أن يشمله ذلك المشروع، بعد تعميمه .

قد يقول معترض، إن موارد أغلب الفقراء قد لا تكفيهم، هم ومن يعولونهم من الأسر، للحصول على مثل هذا الغذاء الصحى، إذ الكثير منهم يتقاضى أجورا زهيدة جدا . ولكن هذا الاعتراض سيزول عندما يسن تشريع يحدد الحد الأدنى لأجور هذه الطبقات الفقيرة، بحيث يكفل لها بهذا الحد، القدرة على تناول الطعام الذى يعد صحيا، حاويا للعناصر الغذائية اللازمة، وبذا يستقيم أمر هؤلاء الفقراء، وتستكمل لهم أسباب العافية والقوة، فيزداد انتاجهم وزيادة الإنتاج، صرح قوى، فى بنائنا القومى والاجتماعى .

ومما تقدم، يمكننا أن نقول، إن تغذية الفقراء بغذاء صحى، تحتاج الى مشروع يستند فى تنفيذه الى أسس منها :

أولا — تعميم مطاعم الشعب، مع ملاحظة توسيع نطاقها بقدر الإمكان

ثانيا — تعميم نظام التغذية، لتلاميذ وتلميذات المكاتب الأولية، فى جميع أنحاء القطر، وفقا للنظام المتبع، والذى أسفر عن نتائج باهرة فى مركز أبنوب .

ثالثا — العمل على رفع مستوى أجور العمال، بسن تشريع يكفل ضمان حصولهم، هم وافراد أسرهم، على الطعام الصحى اللازم . وقد أوضحنا صورة منه، فى الطعام الذى يقدم لتلاميذ المكاتب الأولية .

بقيت كلمة أخيرة، أو أمل، لم نرض أن نبنى مشروعنا عليه، بادئ ذى بدء، حتى لا يكون المشروع أملا من الآمال . وانما استبقينا هذا الأمل، كى يكون نسمة لطيفة، يندى بها المشروع وينتعش .

هذا الأمل، هو منوط بأغنيائنا ومساهمتهم فيه . وهذا المشروع لا يكلفهم فى الواقع شيئا مما ينفقونه، فى بعض بذخهم . فنفحة مالية بسيطة، يجود بها ثرى كل شهر، أو كل عام، كافية لأن تجعل مئات الفقراء، يستشعرون السعادة والهناء، ويحسون شيئا آخر، أكثر من السعادة والهناءة . هـذا هو أنهم يعيشون بين أمة يعطف غنيها على فقيرها، ويجذب قادرها على البائس من أبنائها . مما يشعر هذه الطبقة أنها متضامنة مع غيرها من الطبقات . وانها وان تكن تقوم بالعمل الأشد إلا أنها غير متروكة . ولا مهملة . وأن أبناء الأمة جميعا، يرونها منهم، وهم منها . وفى ذلك من معنى البر والتعاطف، ما حضت عليه الشرائع الالهية والنظم الوضعية ما

محمد عزيز

شخصية الطفل

وأثرها فى حياة الرجل

للأستاذ عبد الشافى اللبان[1]

سيداتى . آنساتى . سادتى :

موضوعنا الليلة "شخصية الطفل وأثرها فى حياة الرجل". وقد ترددت كثيرا قبل الكلام فى هذا الموضوع لبعد صلتى عنه . ولشعورى بأنه خارج عن اختصاصى . فلست من علماء التربية الذين يهتمون بنفسية الطفل وتنمية مواهبه وعقله وتفكيره . كما أننى لست طبيبا يعنى بصحة الأطفال وعلاجهم من الناحية البدنية ، ولست بعد هذا وذاك والدا يستطيع أن يتحدث عن الأبناء بخبرة الأب وتجاربه . ومع ذلك أقدمت على الكلام بصفتى شخصا محايدا ولعلكم توافقون على أن النظرة المحايدة قد تكون أحيانا أقرب إلى الصواب من رأى أملاه الغرض .

ولتفكيرى فى هذا الموضوع قصة أرجو أن تسمحوا لى بسردها عليكم . كنت فى أحد أسفارى مع صديق لى يشتغل بالتدريس فى الجامعة المصرية نمر فى مقاطعة "دوفينيه" بجبال الألب الفرنسية وعاصمتها مدينة جرينوبل التاريخية المعروفة بجامعتها الشهيرة وهى بقعة أمدتها الطبيعة بكثير من عناصر الجمال . وتصادف أن وجدنا فى طريقنا إلى إحدى القرى جمعا من الأطفال الصغار يلعبون فى شارع القرية . عندما وقعت أنظارهم على سيارتنا قابلونا بترحيب يشبه تغاريد العصافير . رافعين أيديهم بتحيات لطيفة مرحة مليئة بالإيناس والبشاشة .

وبعد أن تركنا القرية التفت إلى صاحبى قائلا أتدرى إلى أى مكان نقلنى منظر هؤلاء الأطفال لقد نقلنى إلى مصر . قلت وكيف كان ذلك ؟ أجاب ألم يحصل لك مرة وأنت مسافر بالقطار فى بلادنا أن اتخذ الأطفال من وجهك هدفا لإلقاء الحجارة ؟ أو استقبلوك بصيحات منكرة على سبيل الفكاهة والتسلية ؟ .

من هذه الساعة بدأت أفكر فى الفرق الشاسع بين أطفالنا وأطفالهم حتى أتاحت لى وزارة الشؤون الاجتماعية فى هذه الليلة فرصة كريمة ومشكورة لأعرض على حضراتكم نتيجة هذا التفكير .

---

(١) محاضرة ألقاها حضرته من محطة الإذاعة اللاسلكية .

الطفل فى أوربا فى نظر جميع الناس رجل صغير من حقه أن يتعلم ويفهم ، له أن يسأل عما لا يعرف وأن يجاوب فى صراحة عما سأل ، هو صديق لكل إنسان ، يدلل ويعزز ، ولكن عليه أن يجامل بالتحية اللائقة الظريفة ، من يدلله ويعززه ، وأن يقابل عمله بالشكر الرقيق . يكافأ على حسن تصرفاته ، ويجازى فى رفق على السيء منها .

لذلك تراه يقبل عليك كما يقبل الصديق فتجد عنده مادة حلوة للحديث . يفهم مسئوليته على صغرها ويدرك ما عليه من واجبات . وما له من حقوق . يميز بين الضار والمفيد . له شخصية ، وفيه حياة . ينشأ فى عائلته ومحيطه على النظام والطاعة ، فاذا ما كبر ونما عوده ، أصبح وزملاؤه ممن يكونون جسم الأمة رجالا تعودوا المسئولية متعاونين متضامنين فى تحمل أعبائها مدركين لواجبهم الوطنى وواجبهم الشخصى ، يظهرون فى الأزمات كالبنيان المرصوص أقوى ما يكونون تساندا وأروع إيمانا وثقة بوطنهم ومواطنيهم ، يضحون بالنفس والنفيس ، دفاعا عن المثل الأعلى ، أو انتصارا لفكرة عامة . لذلك كانت هذه الأمم غنية بالعباقرة من رجال العلوم والفنون والسياسة ، وكانت حياتها أمثلة رائعة فى المجد والبطولة .

أما عندنا فالطفل مجرد لعبة يعزز ويدلل ، كما لو كان حيوانا صغيرا ، مفروض فيه فقط أن يدخل السرور والمتعة على نفوس والديه . إذا بدأ الكلام يطلب منه بين الضحك والقهقهة ترديد العبارات البذيئة السمجة وتوجيه الشتيمة المختارة المنتقاة إلى أبيه ، وأمه ، وأعمامه ، وأخواله ، وبعض الأعزاء من الضيوف والمعارف ، الذين رفع التكليف معهم . وإذا بدأ يتصرف يطلب إليه أن يكسر ، ويضرب ، ويكذب ، ليكون خفيف الروح والظل على سامعيه ، وإذا بدت عليه مخايل النجابة — والنجابة هنا معناها طول اللسان — زينوا صدره بالتمائم والأحجبة لتقيه عيون الحساد . وإذا ما شق عصا الطاعة وأعلن عصيانه على الأوامر ، هددوه بالجن والعفاريت ، وعساكر البوليس ، ثم هم بعد ذلك يشجعونه على الأكل ، كلما وقعت أنظاره على الطعام ، دون ميعاد أو إحساس بالجوع ، كأنما يربونه على أن يعيش ليأكل ، ويدفعونه إلى طلب النقود ، وإلى الإلحاح فى الطلب بما يشبه الاستجداء والشحاذة . وهى عادة فى غاية القبح يضيع معها ماء الوجه . وتكتسب بها الصفاقة . إذا جاز أن تعتبر الصفاقة مكسبا — هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، ففيها تشجيع على الرمرمة ، لأن الطفل بما يعطى من دراهم وقروش ، يبادر إلى الباعة المتجولين للحصول على ما عندهم من الحلويات الرخيصة ، والمأكولات التى لا يعلم إلا الله مبلغ ما تعرضت له من التراب . والذباب ثم يعود إلى المنزل وقد حمل فى بطنه أو عينه مقدارا لا بأس به من جراثيم الحميات المعوية ، أو الرمد الصديدى ، بعد أن يكون قد عقد أواصر الصداقة مع الباعة المتجولين أنفسهم . أو مع من لا خلاق لهم من أولاد الشوارع . ويسبب بذلك المتاعب التى لا حد لها لأهله ولعائلته ، وهذه الرمرمة دليل على إفلاس المنزل وعدم توفر حاجيات الطفل فيه . والمنزل هو المدرسة الأولى التى يجب أن

تبث فى الطفل مبادئ الفضيلة والنظام والخلق الكريم ، وتعوده علو النفس والهمة واحترام التقاليد الموروثة ، والعادات والآداب المرعية . فاذا ما عجز المنزل عن أداء هذه الرسالة ، نشأ الطفل من صغره على النفاق والجبن واعتاد "الرمرمة" لا فى طفولته فقط وإنما أيضا فى شبابه وكهولته وشيخوخته ، ولم يألف إلا الرخيص المبتذل من ألوان الحياة وشؤون الفكر والعمل ، وهيهات أن يبلغ بذلك مبلغ الرجال ، إذ ينعدم مثله الأعلى ، وتتأصل فى نفسه الأنانية وحب الذات وكان التضحية والبذل فى سبيل الغير ، وتمو عنده روح من الوصولية تستباح معها جميع الوسائل والاعتبارات ، مهما كان أثرها على الأخلاق والمصلحة العامة . فيظل طول حياته طفلا كبيرا ، ولعل هذا يفسر تلك الكسات التى تنتاب بعض كبرائنا أحيانا ، وتلك الكثرة الهائلة من أدعيائنا الذين لا يحسنون عملا ، ويدعون القدرة على كل شىء .

وهكذا تكون النتيجة أن تفسد عقلية الطفل ، وتفسد معها عقلية الرجل ، وتضعف بهذا وذاك شخصية الأمة ، فتبدوا مفككة واهنة لا تقوى عناصرها على مواجهة الشدة والكفاح فى سبيل الواجب .

سيداتى . انستى . سادتى :

لقد وصل الحال بتدليل الأولاد فى مصر وعدم الاعتراف بشخصياتهم إلى حد غير مقبول ، فهم كما قلنا لعب للتسلية لا أكثر ولا أقل . يطلق عليها أسماء فى غاية الغرابة . قد يكون من المسموح به أن يسمى الطفل من باب التدليل وفى دور الطفولة المبكرة . ميمى أو سوسو أو لولو . أما أن تلازمه التسمية وهو شخص كبير فهـذا ما لا يليق مطلقا . فمن فسد الذوق وفوضى الأوضاع أن تقبل السيدة المحترمة . ربة العائلة أن تنادى بين أولادها وأحفادها بديدى ، أو فيفى ، ولا يستشعر وقارها شيئا ولو قليلا من الحياء والخجل .

هذا ولا شك مسخ وأشد مسخا أن تجد إنسانا غليظ الجسم عملاقا يسمى زيزى مثلا ، هل هذا الشخص الذى يقبل لنفسه هـذه التسمية بنى آدم ؟ هل يمكن أن يكون فيـه أمل أو رجاء ؟ هل يمكن أن يعتبر مسئولا عن عمـله أو عائلته وقد وصلت به الليونة وضعف الرجولة إلى هذا الحد .

هل هذا الطفل الكبير الجسم له مثل أعلا وفكرة قومية وواجب وطنى ، يحرص على القيام به ، ويموت عند اللزوم فى سبيله . وهل الأمة المكونة من أمثال هذا المخلوق تستطيع أن تتطلع إلى مكانة عزيزة ومقام كريم ؟

سيداتى . آنساتى . سادتى :

إن الزمن يمر بنا وكله دروس وعبر ، وإذا كان الانسان يحصد ما قد زرع فان الوطنية والحكمة والكرامة كلها تقضى علينا بأن نغرس فى أولادنا منذ صغرهم روح الرجولة والشهامة والشعور بالواجب نحو الوطن والنفس والغير ، وأن نذكى فيهم نزعة الإباء والشمم ورغبة

الطموح والتطلع الى المثل العليا، والترفع عن توافه الأشياء ورخيصها ليكونوا فى غدهم عمادا لهذا الوطن الكريم، تقوم على رجولتهم الحقة، وقويم أخلاقهم وعميق اخلاصهم، وايمانهم مصرنا العزيزة . مصر التى نريدها منيعة الجانب متماسكة القوى والعناصر، على أساس متين من الفضائل الانسانية والذاتية . فتستطيع أمتنا الخالدة أن تستمد دائما روح الاطمئنان والثقة، من وطنية أبنائها و إيمانهم بها . من قوة نفوسهم وسلامة أبدانهم وعقولهم .

وإنه لمن الواجب الوطنى على كل فتى وفتاة من شبابنا، وهو أمل البلد وعدتها فى مستقبلها، أن يرفضوا للصغار من إخوتهم وأقاربهم معاملة اللعب، وأن يفرضوا فيهم اصدقاء نبغاء يميزون ويدركون الأمور اذا ما شرحت لهم .

كذلك من البر بالنفس والاحتفاظ بالكرامة، أن يرفض كل انسان لنفسه هذه التسميات الغريبة، التى لاتصلح الا لبعض الحيوانات الأليفة، كالكلاب والقطط وبعض خيول السبق.

وان علينا اذا ما أردنا القيام بالمسئولية كبارا، أن نتعود فهمها ونحن صغار . ولنعلم جميعا أن زماننا فيه جد وفيه هزل، وان من أكبر عوامل النجاح فيه، أن نتعود عدم الخلط بين الحالين.

عبد الشافى اللبان

واجبات الآباء
والمربين فى أيام الحروب

للأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم
المفتش بوزارة المعارف

الواجبات المفروضة على الآباء والمربين فى أيام العسر والرخاء كثيرة ، وهى فى أوقات العسر والبلاء أشد وأكثر وأوسع مدى. إنهم مسئولون عن تربية الأبناء تربية كاملة ليعيشوا عيشة كاملة ، مواجهين ماتأتى به الحياة من بضاعة كلها شدة وبأساء . وقساوة وضراء : يقف أمامها الضعفاء موقف المستسلم المأروم ، ويقابلها الأقوياء مقابلة الكمى الجسور .

وأكثر ماتحتاج اليه الأمم من مجهود الآباء والمربين إنما يكون فى الأوقات العصيبة لأنها تتطلب الإعداد السريع ، والتوجيه الحازم . وتتضاعف هذه الحاجة حينما تشتعل نيران الحروب ، لأنها تغير كثيرا من النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وتمس مرافق الحياة وشؤون المعيشة ، وقد لا تدع شيئا صحيحا ، ولا أديما سليما . ولا مفر من لقائها بما يعالج قسوتها ، ويخفف حدتها ، ويقلل ضررها .

ورب ملاح ماهر ، اشتدت على سفينته الريح فى يوم عاصف ، وهاجت عليه الأمواج من كل جانب ، فاستفاد من العواصف ونجا من القواصف .

وليس فى الأزمات التى عرفها التاريخ مثيل لهذه الأزمات القائمة الآن ، الناتجة من الحروب الناشبة التى ابتدعها العقل البشرى الجبار ، وتفنن فى أساليبها القتالة ، ووسائلها الفتاكة ، ولم يمنعه حياء ولا خوف ، ولم يردعه ضمير ولا دين ، حتى امتد لهيبها فى الشمال والجنوب ، والشرق والغرب . وأحاطت دوائرها السوداء بالقطبين ، وبخط الاستواء . فاضطرب ميزان العالم ، وتأثرت نواحيه المختلفة . ولا مناص لنا من اجتياز هذه المرحلة بمثل ماتجتازها به أمة كريمة باسلة .

ولا بأ. والمربين فى هذا الموقف نصيب كبير ، وعليهم واجبات مضاعفة ، فى طليعتها أن يوجهوا جهودهم إلى تقوية العقيدة الوطنية فى نفوس الناشئين ، ولما كان مستقر هذه العقيدة — كمستقر الإيمان سواء بسواء — فى أعماق القلب ، لا فى أطراف اللسان ، كان عليهم فى النفوس بالاستمالة والإيحاء والاستهواء . لا بالقهر ، ولا بالأوامر والنواهى ، حتى تنموا طبيعيا كنمو النبات صادف أرضا خصبة و بيئة صالحة . والعقيدة إذا رسخت كانت أصلا ثابتا للفضائل الاجتماعية ، والاداب الفردية ، والسعادة القومية .

والحاجة ملحة فى الوقت الحاضر — وهو وقت الكفاح والنضال — الى بث روح الجهاد الحق فى نفوس الشبان . وليس الجهاد بمقصور على الذهاب الى ميادين القتال ، والاستعداد لملاقاة الأعداء ، لـ يكون أيضا بتحصيل العلوم المفيدة ، والتمسك بالعقيدة الوطنية ، والتأدب بآداب الدين ، واحترام القوانين الوضعية وغير الوضعية ، وأداء الواجب أداء حقا بإتقان تام وطاعة خالصة ، والخضوع لسلطة الآباء وأولى الأمر والحكم خضوعا مطلقا ، لا تردد فيه ولا تمرد . و إلا سادت الفوضى وساء المنقلب " ولا رأى لمن لا يطاع " ولا يمكن أن يشب الشبان على حب الجهاد الوطنى ، إلا اذا مرنوا على هذه الأمور جميعها ، مرانا محكما حازما ، لاطيش فيه ولا تهور ، و وجدوا أن آباءهم وقادتهم وزعماءهم ومربيهم ، قد شغفوا حبا بهذا المبدأ المجيد ، وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم يبذلونها بسخاء وكرم : فى الدفاع ووسائله ، وفى التبرعات للجيوش التى تحمى البلاد ، وتصد الغارات ، وتعمل لإحياء مجد الوطن و رفع شأنه . وينفقونها برغبة ومحبة ، فى إنهاض المشروعات الوطنية : زراعية كانت أو تجارية أو صناعية . فهذه المشروعات هى ينابيع الحياة الفياضة ، المليئة بالنشاط الجم والخير العميم : يَرِدُها أبناء الوطن فينافسون لأجانب منافسة بريئة عادلة .

و إن إثما كبيرا أن يقصر الآباء فى تهيئة المشروعات ، وتهيئة الأبناء لها . اعتمادا من هؤلاء وهؤلاء على الوظائف الحكومية التى أصبحت محدودة قليلة العدد ، وأصبح المطالبون لها كثيرين لا يحصى لهم عدد . وهذا الاتجاه الخاطئ جعل الآباء يغدقون النعم على الأبناء ، ويغمرونهم بالأموال والمتع وألوان الترف ، وهم ما زالوا فى طور التنشئة ، فجرهم هذا الإفراط فى العطف عليهم ، الى ضعف المقاومة لما يلاقيهم فى مستقبل حياتهم من صعاب وشدائد ، وجعلهم يشعرون بحرية فوضوية ، ولا يستشعرون سلطة ولا حكما ، وهذا هو أصل العلة وأس الداء ، لأنه مكنهم من اللهو بلا رقابة ، وقادهم الى الهوى وصرفهم عن الجد . ولا بد من مقابلة هـذه الحال بالشدة من جانب الآباء ، ولا أقصد بها الضرب بالعصا ، أو الجلد بالسياط ، لأن هذا اللون من التأديب يميت القلوب الحية ، ويكبت النفوس المتوقدة ، و إنما أقصد أن يحفظ الآباء سلطانهم على الأبناء ليستطيعوا إخضاعهم للأوامر عن حب واحترام ، وأن يقبضوا أيديهم عن النفقات الباهظة ، ليأخذوهم بشىء من الخشونة والشظف ، ويعدوهم لأيام المحن والبلاء .

وثمـة ناحية هامة هى أن يعمل المربون على تقوية الروح المعنوية فى نفوس الطلاب وأساسها الإيمـان بقضاء الله وقدره ، والاعتقاد الجازم بالفوز بعد الصبر و بعد العمل ، و إيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وتفضيل الاستشهاد على النصر . كما كان المسلمون فى صدر الإسلام يفعلون . حتى إن بعضهم لم يقبل عند خروجه للجهاد — أن يدعو له المودعون بالرجوع معافى سليما . بل طلب إليهم أن يدعوا له بالشهادة فى سبيل الله .

ومن الخير للوطن والوطنيين أن يعمل الآباء والمربون على تهذيب الخوف عند الأبناء بالحيلولة بينهم وبين ما يثير الأخيلة الجامحة والخرافات الكاذبة التي تقذف الرعب في القلوب، وتتسلط الذعر على النفوس. وأكثر ما تتولد هذه المخاوف حينما تكثر الاشاعات الكاذبة، والأراجيف الباطلة في أيام الحرب فتكون مدعاة إلى التضليل ووسيلة إلى الهلع.

ولقد لعن الله أولئك الذين يذيعون الأخبار السيئة المشوهة، وأنذرهم بالتنكيل بهم، وطردهم من البلاد في قوله تعالى:

"لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۞ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا".

ولهذا كان لزاما أن ننصح لآباء أبناءهم بالتروي والتثبت وإعمال الفكر والاستنباط فيما يسمعون من تمتين وأوشايات. وإلا تخبطوا، وساروا على غير هدى. وطارت عقولهم من الخوف، فلا شجاعة ولا بسالة.

والناس في حالات الذعر الذي يغطي على أفئدتهم: يتدافعون ولا يفعلون شيئا، ويموج بعضهم في بعض، ولا يهتدون سبيلا: "كالبحر يقذف أمواجا بأمواج".

محمد أبو بكر ابراهيم

العلل النفسية

وأثرها فى الأمراض الجسمية

يعرف قراء هذه المجلة أن هناك أمراضا نفسية تتخذ فى الظاهر أعراض المرض العضوى ولكنها بعد التحليل يتضح أنها خداع نفسى يجهله المريض وسرعان ما يزول عند ما يقف هذا المريض على حقيقته .

مثال ذلك : تلك المرأة التى تشتاق الى الحمل فينتفخ بطنها وتحس كل علامات الحمل ، ولكن سرعان ما يفشل هذا الانتفاخ عند ما يصرح لها بالحقيقة .

ومثال آخر : ذلك الشلل يصيب الذراع أو الساق فى الرجل أو المرأة التى وقعت فى هستريا وهذا الشلل يشفى عند ما تقف المريضة على حقيقة علتها النفسية بعد التحليل .

وجميع هذه الأمراض غير عضوية أى أن العضو المصاب فى الظاهر لا يزال سليما لم يطرأ عليه أى تغير مرضى ، وقد ثبت فى الأذهان لهذا السبب أن جميع الأمراض النفسية لا تؤثر بتاتا فى الأعضاء وأنها خداع نفسى ، إذا زال لم يترك أثرا فى الجسم .

ولكن الحقيقة أن العلة النفسية كثيرا ما تؤدى فى النهاية الى علة جسمية ، وهذا هو موضوعنا الذى نريد معالجته ، لأن النظر الجديد يقضى بأن الإنسان نفس كما هو جسم ، بل هو نفس أكثر مما هو جسم ، ومتى سلمنا بهذا النظر فإننا يجب أن نلم بأن الإنسان قد يحتاج إلى التحليل النفسى ، كما يحتاج الى التحليل الكيماوى ، وأن تنظيم الإيحاءات قد لا يقل فى قيمته عن تنظيم الطعام وتعيين الوجبات .

فهناك رجلا قد وقع فى البول السكرى ، والمرض هنا عضوى لاشك فيه ، يثبته الفحص عن البول والدم ، ولكن هذا المرض العضوى قد أحدثته حال نفسية سابقة كان يمكن أن تعالج فى بدايتها وقبل استفحالها باعتبار هذا المريض إنسانا له نفس تغار وتطمح وترتفع الى الكرامة والشرف ، كما تحط إلى الحسد والصغار ، فإن هذا الإنسان كان يعيش فى بيئة اجتماعية قد تسلطت عليه بأقيستها الخلقية ، بجعلته يزاحم ويدافع ويعيش فى اضطراب وقلق ، يخشى الفقر والإفلاس . كان مريض النفس قبل أن يكون مريض الجسم ، ومن الأمثلة القاسية فى نيويورك أنه كلما ارتفعت الأسعار فى البورصة هبط مقدار السكر عند المرضى بالديابيطس وكلما انخفضت الأسعار زاد هذا المقدار ، فحياة الاضطراب والقلق هى أكبر عامل من عوامل هذا المرض .

ولو أن هذا المريض كان مطمئن النفس قانعا بكسبه القليل، قد نشأ على القناعة والرضى، لما مرضت نفسه، ثم لما أدى مرضها الى مرض الجسم الذى قد لا يفارقه الى وفاته .

ومثل ذلك : الرجل أو المرأة السمينة، فهذا السمن مرض لاشك فيه، وقد يتفاقم وتبدو له أعراض أخرى فى عجز الكليتين، أو فى زيادة السكر أو غير ذلك . فهل نستطيع أن نقول إن السمن مرض نفسى .

انظر مثلا، إلى إحدى سيداتنا السمينات، فإنها إذا قعدت إلى المائدة لم تأكل أكثر من غيرها . ولكنها بين الوجبات تستهلك مقدارا كبيرا من اللب والفطاير والبسكويت، مما لاينقطع عن بيتها، وهى ترفه عن نفسها من وقت لآخر بتناول شيء منه، وهى كارهة للحركة لا تحب الزيارات وقلما تنشط إلى الخروج .

فهذه السيدة التى رشحت نفسها لطائفة من الأمراض المختلفة، أولها هذا السمن قد عانت ولا تزال تعانى مرضا نفسيا لا شك فيه . ذلك أن نفسها فى سبات قد سئمت الدنيا، فهى ممتعضة كارهة، فلعلها لا تجد فى الزواج ذلك الحب المنشود الذى كان يثير خيالها أيام الشباب قبل الزواج، أو لعلها قد فقدت المغزى فى هذه المعيشة المنزلية التى لم ترتفع فيها الغرائز الى الغايات والمثليات . أى أنها قد فقدت اللذة الكبرى لذة الشعور بأن الحياة اقتحام واكتشاف وتطور ورقى ونمو . فإن ركود البيت قد أحدث ركود النفس . ثم هذا الفقدان العظيم للذة الكبرى، قد ردّ النفس إلى وسائلها القديمة، فى طلب اللذات الصغرى، وهى وسائل الطفولة ولذة الأطفال هى طلب الطعام، فهى تأكل بين الوجبات، لا لأنها جائعة بل لأنها سئمت العيش وكرهت البقاء، ولا تنس أن عواطف الغم والتشاؤم واليأس تبعث على الركود، فى حين أن الفرح والتفاؤل والأمل تبعث على الحركة . فاذا وجدت أحدا كارها للحركة فاحكم فورا بأن العواطف المتغلبة عليه ليست عواطف حسنة، ثم هو فى هذا الكرب يعمد إلى اللذات الصغيرة، وهى فى الأغلب استهلاك اللب والباستليا وسائر الأطعمة التى يتراكم فعلها فيحدث السمن .

وهنا السبب للفرق العظيم بين الترهل والبدانة اللذين تتسم بهما الأغلبية فى نسائنا وبين النحافة والضمور اللذين تتسم بهما المرأة الأمريكية أو الانجليزية . فإن الجو الاجتماعى الذى تتنفسه نساؤنا يبعث على السأم والركود فالسمن، فى حين أن الجو الاجتماعى فى انجلترا أو أمريكا يبعث على النشاط والحركة فالنحافة .

أو انظر فى هذا المثل الآخر، فهنا رجل يغضب ويتهيج لأنه يعبد المطامع التى يعجز عن تحقيقها وهو يثابر على عمله ويكافح أكثر مما يحتمل جسمه، وهو قلق يخشى ألا ينجح نجاح الذى ينشده، يعتريه الشك من آن إلى آخر فيفكر أو هو لا يفكر ولكنه "يحمل الهم"

كأنه لهب الشمعة يتفزز و ينتفض لأتفه الحوادث ، وهذه بالطبع حال نفسية قد تصبت شراعها لريح هوجاء ، فهى فى حركة وتخبط واصطدام .

ولكن انظر ماذا تؤدى إليه هذه الحال النفسية ؟

إن هذا التوتر العاطفى الدائم يحرك الغدد الأدرينالية التى ترسل هورموناتها إلى الدم فتصل إلى القلب فتزيد دقاته و يزيد بذلك الضغط للشرايين . و بعد سنوات نجد أن هذا الضغط قد أحدث التصلب — وهنا المرض العضوى — ثم يكون الانفجار أو فشل القلب . ثم الوفاة دون الخمسين أو حواليها .

فهنا أمراض عضوية تتلف الكبد أو القلب أو الشرايين أو البنكرياس ، وتؤدى إلى الوفاة أو إلى العاهة التى لا تبرأ ، والأصل فيها جميعها حالات نفسية . أى ان النفس لم تكن سليمة . فلم تعرف القناعة أو الطمأنينة ، ولم تنشأ على البر والخير . بل رغبت فى الأنانية والسيطرة ، ولم تتعلم الحلم والرفق والحب ولم ترتكز على عقيدة أو فلسفة دينية تركن إليها ، كما تهدأ السفينة إلى مرساها فى بحر مضطرب . وليس هناك شك فى أن هذه الأمراض نراها على أكثرها فى المدن حيث البيئة الاجتماعية تطالبنا بالمزاحمة والمباراة والتفاخر بكثرة المال والأبهة — مثليات مادية بعيدة عما ندعيه من المثليات الروحية . والريف يمتاز هنا على المدينة من حيث إن المقيم فيه لا يحترف الزراعة فقط ، بل هو يعيش العيشة الريفية التى لاتنصب لنفسه مثليات مضنية تنتهى بأمراض جسمية قاتلة فإن رجل الريف — بصرف النظر عن حال ريفنا التعسة فى الوقت الحاضر — لا يتمتع فقط بالشمس والهواء ونضرة الطبيعة ، بل هو يتمتع أيضا بأسلوب الحياة ، أسلوب القناعة والاطمئنان والسكينة النفسية . والزراعة لهذا السبب ليست مثل الصناعة أو التجارة ، أى حرفة تحترف فقط ، بل هى أيضا معيشة يعيشها المزارع و يتخذ أسلوبها النفسى .

ومن هذه الخلاصة تتبين أن الأمراض النفسية ليست محض أوهام . فإنها تبتدئ أوهاما بالفعل من حيث إن المريض يقيم لنفسه أقيسة فى الأخلاق والاجتماع والدين تجعله قلقا مضطربا أنانيا حسودا مجاهدا مؤرقا أو سمما كارها . فتؤثر هذه الحالة النفسية فى جسمه بمرض عضوى لأن الجسم خاضع للنفس ، كما أن الدماغ خاضع للعقل . ألا ترى أن المبتدئ فى الفالج يقضى الأسابيع أو الأشهر الأولى عقب الصدمة ، وهو عاجز طريح فراشه ثم يبدأ يسلط عقله على دماغه و إرادته ، وخياله على أعصابه ، فيخضع الدماغ والأعصاب . وليست الإرادة والخيال والعقل هنا سوى ما نسميه " النفس " وليست الأعصاب والدماغ سوى ما نسميه الجسم . فالجسم أداة النفس وهو يخضع لها وينقاد إلى السلوك الذى ترسمه له ومن هنا قيمة المران عقب الفالج بل من هنا قيمة الإيحاء "النفسى" لإبراء مرض "جسمى" .

فذلك الشخص الذى يرتفع ضغطه إلى حد خطر ، قد يكون أحوج إلى تنظيم أوقات الصلاة أوالإيحاء، منه إلى تنظيم وجبات الطعام، فإنه فى حاجة إلى فلسفة جديدة و إلى "هدف" جديد يتجه إليه نشاطه و يستقر به على أسلوب من المعيشة ترضاه نفسه . النفس السليمة التى تتوسع فى معنى البر والخير والرضى والقناعة ، وتعرف قيمة الراحة العائلية والبر الاجتماعى.

وذلك المريض بالبول السكرى ، قد يحتاج إلى جرعة من القناعة والطمأنينة ، كما يحتاج إلى جرعة من الأنسولين ، بل لعل الأولى أهم وأنفع، بل أكثر من ذلك ، لو أنه كان يعرف القناعة والطمأنينة و يوجه نشاطه إلى الخير لما وقع فى هذا المرض .

ثم ذلك الرجل السمين، ما الذى أوقعه فى ذلك السمن إلا أنه لا يجد فى حياته لذة الحياة ، فهو قد اعتاض عنها بلذائذ صغيرة من الطعام الكثير أو الشراب الكثير .

أليس التحليل النفسى ضروريا كالتحليل الكيماوى، وأننا نحتاج إلى الفلسفة كما نحتاج إلى الطعام . وصحيح إن الطعام يختلف بحسب استعدادنا الصحى والاقتصادى ، وكذلك يجب أن تختلف الفلسفة بحسب مكانتنا الاجتماعية والاقتصادية ولكنها ضرورية كالطعام سواء . وبدونها تشقى نفوسنا ثم بعد ذلك تشقى اجسامنا .

هاك رجلا سكيرا ، قد أتلفت الخمر ماله وأفسدت صحته ، ولعلها قد شتتت عائلته وقطعت ما بينه وبين آمال المستقبل . ما الفائدة من اعتقاله فى مصحة لكى يشفى من الخمر ؟ فإن الخمر هنا نتيجة وليست سببا . فهو قد وقع فيها لأنه يريد الفرار من وسط يكربه ، سواء أكان هذا الوسط زوجة تنغص عليه عيشته أم مركب نقص يجعله يحس هوانا أو عجزا عن مواجهة المشكلات القائمة. فالعلاج الحقيقى هنا هو العلاج النفسى بتحويل أو بتفتيت هذه العوامل الأولى التى جعلته يلجأ إلى الخمر لكى تكسبه تلك السعادة الصغيرة التى لا يجدها فى الواقع .

ومن هنا قيمة السكولوجية الطبية ، فان الانسان يعيش فى العصر الحاضر فى بيئة اقتصادية واجتماعية وخلقية تجعله يكظم فى نفسه ألوانا من الغيظ والغيرة والحسد والحب والخوف ، وهو بهذا الكظم يتسمم و يسرى السم من نفسه الى جسمه .

كان الإنسان قبل آلاف السنين يعيش فى الغابة . إنسانا بدائيا لا يعرف من اقتناء الثروة غير ما يشبع بطنه فى يومه . ولا يعرف من الخوف غير ذلك الأسد أو الثعبان الذى يجرى منه إلى مأمن يختبئ فيه ولا يعرف من هموم المستقبل غير وجبته القادمة. وهو لا يفكر فى المباريات الاجتماعية التى تضنينا فى الحصول على بيت فاخر وعزبة ومرتب ضخم ومستقبل يمتد الى عشرات السنين ، ولم يكن فى نفسه كظم .

ونحن مثل ذلك البدائى نخاف ، ولكن الفرق بيننا و بينه أنه كان يخاف فيجرى و ينسى خوفه ، وتنتهى القصة هنا . ولكننا نحن نخاف ونحن قعود الى مكتبنا نقرأ الأسعار

فيدق قلبنا وتنتفخ شرايينا لتلق الدم الزائد . ونخاف كل يوم من مخاوف مختلفة عن ابننا الذى نخشى رسوبه أو عن وظيفتنا التى لا نطمئن اليها . وكل هذه المخاوف تحرك هورمونات لا تجد منا النشاط الذى تنتظره الطبيعة بالجرى وقت الخوف فتستحيل سما أو كالسم .

وهذه الحضارة التى نعيش فيها كثيرا ما تجعل الفرد عاجزا عن مواجهة المشكلات القائمة وهو فى عجزه يفر منها بأساليب تتفاوت من أكل اللب الى الانتحار ، ومن تناول الخمر الى الزيغ الإجرامى أو الجنسى الأخلاقى . وهل يستغرب بعد هذا أن يكون نصف الأسرة فى مستشفيات الولايات المتحدة يملؤها مرضى يشكون أمراضا نفسية .

إن أنجع الطرق للعناية بالجسم هى العناية بالنفس ، لأن أسلوب الحياة أعم وأهم من أسلوب الطعام أو المسكن أو اللباس .

وكثير من الأمراض الجسمية انما هو نتيجة لأمراض نفسية ، وقد يكون من الحسن أن نعين للمريض نوع اللباس الذى يلبس أو الطعام الذى يأكل أو المسكن الذى يسكن . ولكن أهم من كل ذلك فى بعض الحالات أن نعين له أسلوب الحياة الذى يتخذ والفلسفة الدينية التى يركن اليها أو أن نعيد اليه كرامته ونرفعه الى البر والخير بعد أن نستأصل من نفسه ذلك الزيغ الذى جعله يحقد ويحسد ويغار و . . . لنحقيق أطماع ليس فى حاجة الى تحقيقها ما

سلامه موسى

الشاعر... والنارة

للأديب أحمد عبد المجيد الغزالى

تلظى أتُونُ الوغى واستعرْ ... فيالك من عالم يحتضرْ !!!
أتلعبُ بالنار ، لِعْب الوليد ؟؟ ... إذا ما مضى ولها بالأكر
تثر على جانبَيْكَ العوادى ... وتَصْرُخُ فى ساحتيْك الغِيَرَ
تضرمت النار فوق التراب ... وأطبق فوق السحاب الشرر
ففى الأرض ليس يطيب المقام ... ولا فى السموات يحلو المقر
... وأنت ... إلى أين ياشاعرى؟؟ ... وقد مات لحنك فوق الوتر
هنا النور يا شاعرى فانشد ... متى كنت لا تحتفى بالقمر؟؟
على الرغم منه ؛ فلا تنسه ... وحاشاك تنسى ليالى السمر

* * *

رُويدكَ يا شاعرى لا تُرَعْ ... أأفزعك "البوق" لما صقر؟؟
إلى أين يا شاعرى ؟؟ قف هنا ... فلم يعد العيش رغدا يسر
إلى النهر ؟؟ غاض به ماؤه ... وصوح فى شاطئيه الزهر
وشح عليه نسيم الأصيل ... ونامتْ به خطراتُ السحر
وهبتْ على ضفتَيْه السواق ... ولفتهُ فى عاصف مُعتكر
وناحتْ على شاطئيه الشوادى ... وها هى فى نوحها تنتحر ...

* * *

إلى أين يا شاعرى ؟؟ قف هنا ... فلم يعد العيشُ رُغداً يسر
إلى الروض تشجيك أطياره ؟؟ ... لقد بكم الطير فوق الشجر
فلا هاتفٌ بنشيد الهوى ... يذكرنا بالليالى الغُرَر
ولا صادحٌ بأغانى الربيع ... يَذُفُّ بأفقِ ندىً عَطِر

ولا وارفٌ من ظـلال الورود ترشّـفَهُ الفجـر لمـا انتشر
ولا جَـدولٌ حالمٌ فى الدجى يُحَـيِّى الصباحَ إذا ما سـفر

* * *

إلى أين يا شاعرى ؟؟ قِف هنا فـلم يعـد العيشُ رغدًا يسر
إلى البحر ؟؟؟ ثارت أواذِيُّهُ وفـوق الأواذى حام القـدر
هُمُ أشعـلوا النارَ فى مائه تثـج لظاها ، اذا ما زخر
فلا الفـلكُ يختال فى سبحه يداعبُـهُ المـوج كرًّا وفـر
ولا النـجم تلمحُه يستحمّ ويا ويلَه من مقرّ الدرر !!!
ولا النبـلُ الغضُّ فى شطّهِ يُجيدُ الصلاة ، ويتـلو السور

* * *

إلى أين يا شاعرى ؟؟ قِف هنا فـلم يعـد العيش رغدا يسر
إلى الجوّ ترسـل فيه الخيالَ وتعـبُرُهُ مسْرَحًا للفـكر ؟؟؟
لقـد حلّق الشرُّ فى أفقـه ألم تره بالدخان ائـتزر ؟؟؟
أتعـلو اليـه ؟؟ وقد زاحمتْ نسـورَ السماء ، نسـورُ البشر
فضاقتْ عليها الجواء الفساح فهيض الجناحُ ولمّا تطـر
على مسْرِبِ الطير جارَ الحديد وفى مَسْبح الحوت شبّتْ سقر
فلا عاصمَ اليـومَ يا شاعرى وهيهـات يجدى عليك الحـذر

* * *

تجهّـم للغرب وجْهُ الزمان وحظُّ حضارته قـد عَـثر
أيَبْـنى ويعْـمُر صرحَ الحياة ويمضى فيهـدمُ ما قد عَمَر ؟؟
ستحصُده الحربُ حصْد الهشيم ويطْوى ربيـعَ الحياة النضر
فيـا قَادةَ الرأى رفقًـا به ستمضى الليـالى ، وتبـقى الذكر
هو العقـلُ جُنّ ، فيـا ليتَهُ كفانا مئـونةَ هـذا البطـر

شـــباب الكنانة ؛ يا ذخرها ... وعدتها فى الغـــد المنتظـــر
معاذ الفتوة ، خوضوا الوغى ... فإما الحيـاة ؛ وإما الحفـــر
حرام على الغـــزو أرض الحمى ... وأنـــتم مخالبها والظفـــر
شـــبول العرين فـــداء العرين ... اذا غالبتـــه الليـالى النـــكر

* * *

هـــو النيـــل سلساله علقـــم ... اذا ضـــيم ؛ والزهر فيـــه إبر
وأطيـاره المرسـلات النشـــيد ... سترســـله باللظى ينفجـــر
وأمواجه المزجيـات النعـــيم ... ســـتزجى السموم اذا ما قهـــر
وأجـــواؤه البسمات الوضـــاء ... ســـتقذف بالمـوت إذ تنهـــر

* * *

قفـــوا دونه يا شـــبول الحمى ... فالنيـــل ماض يعيـــد الأثر
جـــدودكمو وســـدوء السحاب ... فهيـا تأســـوا زمانا غـــبر
وردّوا ليـاليَـــه وابعثـــوا ... جـــدودكمو فى كريم الســـير

أحمد عبد المجيد الغزالى

بعض العادات على سلوكنا

للأستاذ محمد زكى عبد القادر

هناك أشياء صغيرة فى سلوكنا : نتغاضى عنها تحت ستار التسامح تارة ، وتحت ستار الخوف أو العجز أو عدم الرغبة فى تضييع الوقت تارة أخرى ، ولكن هذه الأشياء على الرغم من صغرها تصبح لخلق العام للأمة بطابع خاص . و لخلق العام يؤثر على السلوك الخاص للأفراد ، والسلوك الخاص للموظفين ، ومن ثم على السلوك العام فى أداة الحكم والتنفيذ .

وهذا التسلسل فى التأثير واضح تماما ، ويمكن إبداء عشرات الأمثلة عليه . ولكنى ندعها الان فنتكلم عن هذه الأشياء الصغيرة .

الزوار الثقلاء :

تكون منهمكا فى عملك : فى مكتبك ، اذا كنت محاميا ، أو فى عيادتك اذا كنت طبيبا ، أو فى متجرك اذا كنت تاجرا ، أو فى ديوانك اذا كنت موظفا ، فيهبط عليك زائر ، قد يكون صديقا عزيزا أو لايكون . وهنا تقع أنت بين نارين . ان قصرت فى تحيته والتحدث اليه لم تسلم من لسانه ؛ وان أديت له ما يحسبه واجبا من هذه الناحية ، كان لابد أن تهمل عملك أو تعطله أو تؤديه أداء سيئا .

والأكثرون منا يؤثرون أن يحاملوا هذا الزائر على حساب العمل ، يؤثرون أن ينصرفوا عن عملهم العاجل الى التحدث عن الطقس وغلاء الحاجيات والعلاوات والدرجات والعارات والسياسة ، والحرب ، والسهرات وربما يضطرون الى الخوض فى أعراض الناس . يؤثر الكثيرون منا أن يفعلوا ذلك ، لكى يرضوا هذا الزائر الذى قد يكون فارغ القلب واليد من الهم والعمل ، ولذلك قد تطول زيارته وقد تثقل جلسته ، قد يتناول بين وقت وآخر جهاز التيفون الموضوع على مكتبك ليحدث أصدقاءه وربما صديقته ، حديثا فارغا مملا سخيفا ، لا يرعى شعورك ولا يحترم وقتك ولا عملك .

فأنت بسلوك المجاملة الذى رأيت أن تتبعه مع مثل هذا الزائر تكون قد شجعته على أن يكرر عمله معك ومع غيرك وتكون قد ساعدت على أن يصبح مثل هذا السلوك من تقاليد الجماعة المصرية ولو أنك تصرفت عنه والقيت همك وفكرك الى عملك ؟ وظهرت أمامه بمظهر

الرجل الذى يؤثر عمله على السفسطة ، لأدرك من نفسه أنه أخطأ ولأدرك أنك تكره منه هذه الزيارة ، ومن ثم فلا يقدم عليها مرة أخرى ولو أن غيرك سلك مثل هذا السلوك إزاء كل زائر من هذا النوع ، لانتفت هذه الزيارات الثقيلة التى تأكل الوقت والجهد وتضيع بعض الثمرات الحسنة للعمل المنظم المستمر الذى يؤديه صاحبه فى أوانه .

نعم ان هؤلاء الزوار أو بعضهم سيبسطون ألسنتهم فى مزوريهم . ولكن ماذا يهم هذا النوع من النقد والتجريح ؟ انا فى حاجة الى كثير من الشجاعة الأدبية حتى نستطيع أن نتخلص من بعض هذه المضايقات ، ومن ثم تتخلص البيئة المصرية من بعض النقائص التى تؤخذ عليها .

وأنت حينما تزور المصالح الحكومية ، تجد فى بعض المكاتب موظفيها يتركون عملهم لينصرفوا الى زوارهم يحتسون و إياهم القهوة ويدخنون السجاير . . . على حساب من يضيع هذا الوقت؟ . . على حساب دافع الضرائب المسكين الذى يشقى فى الشارع والحقل والمصنع ، إن هؤلاء الطفيليين من الزوار يأخذون وقت الموظفين الذى يجب أن ينفق فى أداء الأعمال الموكول أمرها اليهم و يأخذونه لابل يسلبونه . فان وقت الدولة هو مال ، يدفع قيمته دافع الضرائب فيأتى هؤلاء الطفيليون ويسرقونه كما تسرق الأمتعة .

واذا كان الموظف المزور راضيا عن هؤلاء الزوار منصرفا اليهم مقبلا عليهم فانه شريك معهم فى هذه السرقة . واذا كان خجلا منهم غير قادر على أن ينبههم الى خطئهم فان شعوره بالواجب واعتزازه بعمله وغيرته عليه تكون من الضعف بحيث يوشك أن يعد رجلا غير أمين .

الذين يسبقونك فى الدور :

ولنضرب مثلا آخر : فى شبابيك السكة الحديدية ، وفى شبابيك بعض دور السينما ينظم قطع التذاكر بالدور . تكون فى دورك فيأتى طفيلى ويدفعك عنه ويصر بحركة سمجة على أن يسبقك . هنا قد تتسامح أنت وتنظر اليه نظرة شزراء وتسكت ، وتدعه يأخذ دوره قبلك ، إنك بذلك تخطئ ، صحيح أن تأخيرك دقيقة ، أو دقيقتين ، قد لا ينطوى على ضرر كبير لك . ولكن تسامحك فى أن يعتدى معتد على النظام وعلى حق لك هو الذى ينطوى على أكبر الضرر . ومزاحمة هذا الطفيلى لك فى شباك السكة الحديدية أو شباك دار السينما هو مثل لما يمكن أن يعمد اليه فى مسائل أكثر خطورة وأعظم أهمية . وهذه الحركة التى تعدها تافهة وسخيفة منه تدل على اتجاه سيئ فى نفسه يطبعه فى كل التصرفات ، ومن ثم يصبح مواطنا لايحترم حق غيره ولا يحترم النظام العام ، واذا شاع مثل هذا السلوك فى أمة كان بناؤها الاجتماعى وشيك الانهيار ، وكان خلقها العام موضوعا للنقد والتجريح .

ولو أنك عدت مثل هذا الطفيلى الى مكانه وزجرته على سوء تصرفه وتمسكت بحقك وبحق النظام ، وساعدك على ذلك غيرك ممن هم بعدك فى الدور أوقبلك فيه وتعاونتم على زجر هذا المعتدى لما جرأ مرة أخرى على أن يكرر هذا السلوك معك أومع غيرك ، ولكن تسامحك وتسامح غيرك يوحى اليه أنه فاز دونكم بدور متقدم وأنه بهذا العمل قد تخطاكم وأخذ تذكرته وانصرف قبلكم ، بهذا يكون مستعدًا بل ومتحفزا فى مثل هذه المناسبات أن يكرر هذه المزاحمة وهذا التعدى .

الذين يزاحمونك فى القطار والترام :

ولنضرب مثلا ثالثا : تكون فى القطار أو فى الترام أوفى الأمنيبوس والعربة كامله ليس فيها مكان لراكب جديد ، فاذا براكب ثقيل يقدم ، ويسألك ، ويسأل جارك أن تسمحا له بمكان بينكما . وتشعران أنتما بشىء من الخجل ، فتوسعان له المكان الذى يطلبه . وتفعلان ذلك فى اشمئزاز ولكنكما تسكتان ، أنتما بذلك تخطئان ، ولو رفضتما أن تسمحا له بما يطلب لأعطيتماه درسا لن ينساه . هذا الدرس هو أن يحترم راحة غيره ، ويحترم النظام الموجود فلا يضايق الناس بهذه السماجة . فان هذا المكان قد خصص لاثنين أو ثلاثة أو لأربعة ، فلا يصح أن يتجاوز الجالسون فيه هذا العدد ، وإلا كان فى ذلك مضايقة لهم جميعا .

وهذه المضايقة قد يمكن التسامح فيها ، ولكن روح العبث بالنظام ، وروح الرغبة فى أخذ ما ليس للانسان وما لا حق له فيه ، تشجيع هذه الروح هو الذى ينطوى على ضرر ، أبلغ الضرر .

وهناك أمثلة عديدة أخرى . ولكنا نكتفى الآن بسرد ما سردناه ، على أن نتابع ذكر أمثلة جديدة فى مقال ثان .

محمد زكى عبد القادر

صور من القاهرة المجهولة

على ضفاف النيل . . .

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

... ... ومالك أيها الأخ تجرد على القاهرة حملتك وتطلع علينا بين الفينة والفينة بصور غريبة لحاضرة مصر ، تبدى مساوئها وتخفى محاسنها ، تشوه جمالها وتظهرها فى غير ثوبها ، فهل لك أن ترجع البصر لتصدقنا الخبر وترينا القاهرة فى مبانيها المشيدة ، وطرقها الممهدة وميادينها المزدانة ، و بساتينها الفينانة ..... تخرج بنا إلى ظاهر المدينة ليتكشف أمام ناظريك ما خفى من أمرها عليك وترى القاهرة فى ثوبها النظيف ثم تقدم إلى قارئك صورة جميلة لحاضرة مصر الجميلة ، عروس الشرق تختال على ضفاف النيل ...“

قارئ

نبيك يا صاح . . .

ومالى لا أدع الأزقة والحارات ، والمباءات والبؤرات وأصحبك فى جولة ترتاح إليها نفسك وتقر بها عينك ترى القاهرة الجميلة ... ... تراها كما تهوى عروس الشرق، تختال على ضفاف النيل .....

إذا فتعالى معى إلى الشاطئ نجتاز جسر قصر النيل فاذا بلغت متنزهات النهر فقف بنا هنيهة بين المروج والرياض وتأمل النجم الزاهرات والخمائل الناضرات.ودعنا بعدها نتنقل بين البستان الأندلسى والروض الفرعونى لتشهد صورة حية لمجد مصر الغابر ، مصر العربية ومصر الفرعونية ثم ارسل الطرف إلى النيل السعيد ترى غديرا يترقرق الناظرين وجدولا يتهادى بالمحبين ، ونخيلا يصول بوماحه ، وورودا يشهر على الدانى سلاحه ، فإذا لمست أطراف البساط ، واجهت عمارات شاهقات ، سمت سمو ساكنيها وعلت علو أهليها حتى إذا بلغت جسر بولاق رأيتك تحرم النيل ومصاحبته ذلك بأن الشاطئ لم يعد حقا مشاعا تتسير أنت وغيرك فيه فقد اشتراه الاغنياء ... نعم اشتروا شاطئ النيل فى حى الزمالك وفى أجمل بقعة فى القاهرة اشتروه بالمال وشدوا عليه قصورا منيفة ، قصورا تطل النعمة من شرفاتها ويبين الترف فى جباتها ، وحذار أن تتساءل كيف ساغ لهؤلاء أن يحتكروا لأنفسهم

ولذويهم حق الشعب فى مشهد نهره وهواء نيله فكلهم كبار وذوو بأس وسلطان ليس لك ياصاحبى إلا أن تعود من حيث اتيت وأن تنفذ من المخرج الوحيد الذى أمامك وهو الجسر الذى يوصلك بولاق ...

عود إلى بولاق ! !

يؤسفنى يارفيق أن أراك معى ثانية حيث لا تريد، وأن أنحدريك من فردوس الجزيرة إلى بولاق الحقيرة ، ولكن ما حيلتى وقد سألتنى أن أجوب بك الشاطىء لأجلو لك القاهرة عروس الشرق تختال على ضفاف النيل ...

نحن فى بولاق والنيل محجوب بتلك المصانع المتراصة . هذه ميناء الشحن وذاك مرسى شركة النقل النيلية وتلك مطبعة الأهرام فالمطبعة الأميرية تجاورها مخازن البوليس فمصانع كوك فورش الحكومة ثم مصلحة الركائب الملكية فمدرسة مصر الصناعية ...

ترى كيف حجبت بولاق عن النهر وهى أحوج الأحياء إلى النيل وشاطئه النضير . وما لأهليها ينعمون بما ينعم به أثرياء الزمالك وسراة مدينة الحدائق ، لقد صفت المصانع لساكنى بولاق على الشاطىء صفا فتعوض القوم عن نسيم النهر دخانا تنفثه المداخن وعن هدوء النيل وسكونه صخبا دائما من عجيج الآلات ودقات المطارق .

فاذا تابعت بعد هذا سيرك فأنت فى حى فايد أو حوش فايد حى يقوم على رقعة واسعة وقفها ثرى تحمل اسمه واستأجرها الأهلون بطريقة الحكر وأقاموا عليها مساكنهم المتواضعة .

وحوش فايد مشهور بشدة مراس سكانه والمسوته شهرة ذائعة فى تدبير المشاجرات ولا يفوقهن من أهل بولاق فى هذا المضمار إلا نساء حى الحمره اللواتى بلغ بهن اتقان هذا الفن أن غدون من محترفاته وأصبحن يستأجرن لمصاربة النساء والرجال نكاية بهم وانتقاما منهم.

إنى لأشفق عليك وعلى نفسى أن تجازف بالسير فى ممرات هذا الحى وطرقاته خشية أذى يصيبنا أو شرا يلحق بنا فاذا اكتفينا بعرض واجهته حتى نهايتها فنحن فى حى الرمل أو الرملة.

ورمل بولاق كرمل الاسكندرية كلاهما على الشاطىء هذا على النيل وذاك يطل على البحر وقد تعوضت بولاق عن الأكشاك والكازينات قمائن لحرق الطوب ومخازن للشركات. وإذا كانت الاسكندرية تشرف على مجراها بالشاطبى والإبراهيمية واسبورتنج وستانلى وجليم فرمل بولاق غنى بأحيائه زاخر بنزلائه وحسبنا أن نواصل التجوال على هذا الشاطىء البديع... عسى أن نحقق بغيتنا ونبلغ غايتنا فنرى جانبا كبيرا من حاضرة مصر عروس الشرق تختال على ضفاف النيل ! ! ..

بين عشش كابش :

نحن الساعة فى حى الرمـلة فى طريقنا إلى جسر امبابه ومخازن الشركات والسكة الحديد تحف جانبى الطريق فاذا انتهينا منها رأينا فضاء يتكشف عن أرض دكناء تتأملها فتبينهـا حيا صغيرا منخفضا عن مستوى الطريق ، هى أكواخ من اللبن متراصة متراحمة والذى تحار وأحار معك فيـه أنك لا تكاد تبصر لهذه الأكواخ مداخل أو طرقات هى كتلة كبيرة من الطين قائمة على رقعة فسيحة . هذه يا رفيق عشش كابش أفقر مساكن العاصمة طرا وأتعسها حظا يأوى إليها فئـة من فقراء أبنـاء الصعيد الذين لجأوا إلى العاصمة طلبا للرزق وألقوا رواسيهم على ضفة بولاق حيث أقاموا مستعمرة عمرها الضيق وسكنها الإملاق — وماظنك بقوم لايجدون ما يسد أودهم فانطلقوا فى المدينة يجمعون القمامة أو ينقلون التراب أو يحفرون الأرض أو يحرقون لبنات الطين .

ولو أن عملهم دائم مستمر لهان أمرهم ولكنهم شأن ذوى المهن الصغيرة فى هذا البلد أن وفقوا الى العمل يوما أقعدتهم البطالة أياما ، لذلك لانعجب إذ نراهم يطلقون أبناءهم وبناتهم فى المدينة يسعون فى مناكبها ويأكلون من الرزق حلالا كان سبيله أم حراما ذلك بأن أكثر المشردين من جامعى أعقاب السجاير والبنات اللواتى يحترفن بيع الياانصيب تلك الحرفة التى لاتلبث أن تودى بهن الى الهاوية ، أكثر هؤلاء من أبناء عشش كابش وما جاورها من مناطق الأحكار القائمة على النيل .

صحة وتنظيم ! ؟ ...

لقد دنونا من الجسر وتكشف أمامنا منظره العظيم ، جسر كبير تكلف مع النفقين القائمين فى مدخله ومخرجه كما علمت أكثر من مليون من الجنيهات وشاطئ يطل على رأس الجزيرة الجميلة وفى نقطة اتصال مصر بصعيدها .

أمام هذا المشهد الذى تلتقى فيه عظمة الصناعة . بجمال الطبيعة ترجع البصر الى ماحولك فيرتد اليك البصر وهو حسير . ذلك بأن الشاطئ حول مدخل الجسر وعلى بعد خطوات منه يزخر بقمائن تحرق الطوب ومصانع تطحن فتاته . ترى الدخان يتصاعد فى كل مكان ويحمـله الريح صوب المساكن — ولعلك تعجب وتتساءل كيف ارتضى القـائمون بالأمر هذه الحال وكيف استساغت وزارة الصحة ومصلحة التنظيم وإدارة الرخص ، كيف استساغت هذه الهيئات السماح لأصحاب هذه القمائن بإقامة مصانعهم وأفرانهم فى مثل هذا المكان ! ؟ ...

على أنى أسألك ياصاحبى أن تهدئ من ثورتك وتخفف من حدتك فقد حصلت لك من المختصين بالأمر على الأجوبة الشافية الكافية . . !

لقد قيل لى إنها مصلحة الخزانة فلما تحريت هذه المصاحة التى هان جوارها تسميم صدور سبعة وثلاثين ألف نفس من ساكنى روض الفرج البلد ومناطق الأحكار فضلا عن تشويه مشهد النيل فى أهم ضفافه وجدت أن الخزانة لاتجبى سوى بضعة عشرات من المنيهات فى كل شهر.

وقال قائل منهم لابل مبدأ تشجيع الصناعة ! ! ولست أدرى ما يضير صناعة الطوب ، وصناعة اذا ما أقيمت هذه المصانع خارج العاصمة وفى منطقة نائية عن المساكن بعيدة عن العمران بعد أن تنزع ملكية الأرض ويعوض عنها أصحابها بمكان آخر.

وقال لى ثالث أكثر صراحة : هذه حال وجدناها من القدم وليس لنا أن نغيرها ، ما أصدق صاحبنا ولكن ما أشبهنا فى هذا بقول الكافرين حين أجابوا بشيرهم إلى الهدى " إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون " .

فى الروض الزاهر :

ليس فى مقدورك ياصاحبى ولا فى مقدورى أن أتابع السير على الشاطئ وقد سدت محارق الطوب منافذه فليس أمامنا إلا الحى المجاور نجوب نواحيه — جوارنا الساعة روض الفرج البلد . حى كبير يضم أربعة وعشرين ألف ساكن كلهم من صغار العمال وأكثرهم من أبناء المنوفية وهم فى مهنهم مرتبون كما ترى : ضاربو الطوب وحارقوه ، كناسون وعمال نظافة ، باعة جائلون ، حلاقون ثابتون وجائلون ، وهناك غير ذلك بعض صغار التجار وعمال السكة الحديد يقيمون فى المنازل القائمة بواجهة الحى .

وليس للروض من اسمه نصيب وليس العيب فى هذا عيب الأهلين إنما نعود باللوم فيما أصابهم على مصالح الحكومة فالتنظيم لا أثر له فى تلك الحوارى الضيقة التى لاتصل الشمس الى بيوتها ولا يبلغ منافذها الهواء وليس أدل على إهمال تنظيم الحى من أن الكثير من حاراته مسدود فى نهايته فى موضع لا يحتاج إيصاله الى الطريق العام غير نزع ملكية بيت أو بيتين — والإنارة وإن كانت فى المدينة مقيدة إلا أنها منعدمة فى الحى وقد علمت أن الأهلين كانوا قد نظموا بينهم رابطة تقوم بالانارة وتعد لوحات الطرق لقاء جعل صغير يدفعه الملاك الا أن الرابطة قد انحلت ولم يبق ثمة من يعنى بمصالح الحى .

وفى الحى مدرسة الزامية واحدة وحنفية مجانية واحدة ولهذا يضطر الأهلون وكلهم فقراء الى جلب مائهم من النيل بالجرات وفى ذلك مافيه من خطر على الصحة وتعريض الناس للاصابة بالأمراض الطفيلية ، مع أن إعداد بضع حنفيات لايتكلف سوى مبلغ يسير .

فى حكر خلف :

فى الطريق الى ساحل روض الفرج يرى السائر على يمينه منطقة كبيرة تقابل الباب الخلفى لمدرسة شبرا الثانوية منطقة تميزها بانخفاضها عن مستوى الطريق وتعرفها بسوء تنظيمها وبساطة مساكنها ، هذه أرض خلف أو حكر خلف .

كانت هذه الأرض إلى إحدى عشرة سنة خلت حقولا نضيرة يتوسطها ملهى صيد الحمام وطالما قضينا إبان دراستنا بمدرسة فاروق الثانوية أوقات هنيئة فهناك على ضفة النيل فى ظلال التوت والجميز كنا نمضى ساعات نشغل فيها بصيد السمك أو بمص القصب أو أكل الخص الذى نشتريه من الحقل ونغسله بماء الساقية ، تبدلت اليوم هذه الحال وغدا ذلك الشاطىء الجميل مباءة قذرة اكتظت فى أثر نواحيها بالعشش والأكواخ ، ذلك بأن ملاك هذه الأرض الموقوفة أرادوا استغلالها بما يرفى كسبهم ويزيد من ريع ملكهم . فعرضوها للبناء بطريقة الحكر وسرعان ما وجدوا الراغبين الذين ملأوا الأرض بأكواخهم وبيوتهم الحقيرة هبطوا الى هذه الحقول كما تهبط أرجل الجراد فتذهب بالأخضر واليابس ، ولكن ماشأن المالك فى هذا وغايته الكسب ، فصاحب البناء يدفع لإدارة الوقف حكرا يتراوح بين ثمانية وخمسة عشر مليما للمتر الواحد فى الشهر وهكذا أصبح الفدان الذى كان يؤجر للزراعة بخمسة عشر أو بعشرين جنيها أصبح يدر اليوم بعد إشغاله بالبناء مائة جنيه أو يزيد .

صور من حياة الأهلين :

رأيت ياقارئى فيما أسلفت أن الشاطئ حافل بجحافل الفقراء زاخر بجيوش البائسين وإذا حل الفقر والعوز فى قرية حل بها الشر وآوى اليها العدوان ، فلا عجب إذا رأينا الإجرام يمسكن تلك البقاع وحسبك أن تعلم أن مناطق الاحكار الممتدة من حوش قايد الى المبيضة هى المحلة الثانية للمجرمين فى العاصمة ولا يسبقها فى هذا سوى دائرة الترجمان وسوق العصر فى بولاق .

فبين هؤلاء العمال والباعة الذين رأوا فى تملك البيوت فى هذه المنطقة بطريقة الحكر ما يوفر لهم إيجار المسكن ويضفى عليهم صفة الملاك ، يقيم فريق من اللصوص الذين وجدوا فى مجاورة هذه المنطقة لروض الفرج وشبرا ما يدنيهم من أهدافهم وقد اختص أكثرهم فى التسلل الى المنازل وسرقة النقود والحلى والملابس ومنهم من يقتصر عمله على اختطاف الأكمة والسجاجيد المبسوطة على الشرفات وفى الأدوار القليلة الارتفاع يجذبون ما يريدون بعصى مسمرة الأطراف .

ويمتاز حكر خلف بأنه وكر الجانب الأكبر من طائفة الأغجار الذين يتزحون من أطراف المنوفية ويطلقون نساءهم فى الشوارع مؤشومات الذقون محليات الأنوف بالأقراط يتدين فى كل مكان "بين زين ونشوف البخت" "ندج ونطاهر" "الشيخ فى البيت مليح" ولو أن عملهن قاصر على طهارة البنات بكشف الطبع أو الرقص فى الطرقات لقلنا كسب لاتثريب عليه فيه ولكن أكثرهن يتخذن السرقة على هذه الأعمال. ولحن فى ذلك سبلا أتقنها ويرعن فيها. فمنهن من تخرج وزوجها السرقة بالطريقة الأمريكانية المعروفة ومنهن من تتندس فى الأماكن المكتظة بالسيدات كالأضرحة والمستشفيات وتسرق الحلى من أساور وعقود ويتظاهر بعض نساء الأغجار ببيع الأقمشة فى البيوت ويعمدن الى بسط الثوب أمام الشارية بحالة تحجب ما فى البيت عن عين صاحبته فى وقت تسلل فيه إحداهن الى حيث توجد النقود أو المصوغات.

الحكر موطن كل قبيح :

الحكر كما لا يخفى عليك هو تأجير الأرض الموقوفة الى من يشغلها بالبناء نظير جعل يدفعه صاحب البناء الى الأوقاف المالكة للأرض.

ولما كان صاحب البيت فى هذه الحالة لا يملك غير بنائه وإقامته بالأرض مؤقتة ورهينة برغبة الوقف فهو لا يعنى عادة باتقان البناء لذلك لا تعجب اذ نرى أقبح المبانى وأحقرها مقامة فى مناطق الأحكار.

والحكر كما يشهد صديقنا المحامى ذلك وهو كمدير لادارة الأوقاف أعرف الناس به هو أسوأ أنواع الاستغلال ونحن لا نعدو سدرة الحق اذا قلنا إن الحكر أكبر ما يشين صحة البلاد فما من حى تلمس فيه روضى التنظيم وانعدام أسباب الصحة الا وكان حكرا، ولا يرجى ولن يرجى لهذه العاصمة إصلاحا أو تجميلا مادام الحكر قائما وما دام المشرفون على الأوقاف يرون فى تأجير الأرض لمن يشغلها بالبناء موردا أفضل من زراعتها.

بلد العجائب :

يقول الفربيون عن مصر إنها بلد العجائب وليست عجائبها فيما حوت من أهرام وآثار ونصب وأحجار إنما العجيب حقا هذا التناقض والتباين الذى تلمسه فى كل شىء لدينا فى أرياننا، فى طراز مساكننا، فى أحوال طبقاتنا المعيشية والاجتماعية وليس أدل على ذلك من تلك الصور المشوهة التى تظهر بها مدن القطر عامة وعاصمة البلاد بوجه خاص.

في الوقت الذي يعاني فيه كثيرا ما فرضته الطبيعة على سكانها من جو رديء وبيئة غير صالحة ليعيموا مدانا في أحضان البحار [1] أو في لجج المياه وأواسط الخلجان [2] أو عند مواضع الزلزال وتحت هم البركان [3] ترى بلادنا كبلادنا حبانا الله بخير ما يحبو به أمة. جباها بديع ونور ساطع وسماء صافية لأديم ونهر ميمون كريم. فترانا نشعر هذا الجمال حسبك أن تتأمل ذلك الوجه الذي تكشف لك عنابه بترى ما فعلناه بحاضرة البلاد فقد أغفلنا أمرها وتركناها شاهبة على وأبينا إلا أن نتلف بأيدينا ما أسبغته عليها الطبيعة من نعم فصففنا على ليل أمرها المساكن والمقاهي ومهدنا هواءها الطلق سدا من المصانع لنسده بما تقذفه المداخن وتبعث به حبات الفحم.

بلدية القاهرة :

إن أجمل الوجوه في كل مدن العالم ما قام على ضفاف الأنهار، فعلى ضفتي السين أحيطت باريس بطريق بديع تحف به أجمل المباني وحسبك ما يشاهد المرء عن ميدان الكونكور وحول إلى (Quay D'Orsay) كذلك قامت لندن بمبانيها على ضفاف التايمز فإذا استثنينا الميناء التي خصصت ملاحة بإشراف هيئة المختصة (Port London Authority) نرى باقي المدينة تشرف على النهر أجمل المباني وتلمس آثار تلك الحرية التي أكسبت عاصمة الامبراطورية البريطانية ما جعلها من أعظم مدن العالم.

ذلك بأن الدول الحرية أعطت شئون المدن والمواصم هيئات مطلقة اليد تفرض الضرائب وتسن اللوائح وتعمل للاصلاح ما استطاعت، ففي باريس بلدية وفي لندن مجلس دائم (London County Council) أما مصر فأمر عاصمتها قسمة متنازعة بين التنظيم والصحة والمجاري وغيرها فعدت بارتباطها بالدولاب الحكومي وئيدة المسير بطيئة التقدم.

فإذا أردنا للقاهرة صلاحا فسلم أمرها الى مجلس بلدي تطلق يده في شئونها ويعمل على صلاحها صلاحا يعلي قدرها ويكفل لأكثر من مليون من ساكنيها اقامة طيبة في أحياء نظيفة ومساكن صحية تصلها الشمس وتخالها الهواء وخاصة أن الجانب المهمل في العاصمة هو ما يقوم فيه أحق الطبقات بعنايتها، طبقة العمال والصناع.

وفكرة بلدية القاهرة كما نعلم قديمة وقد فحصت من قبل ومحصت ولم يبق الا الاسراع بتنفيذها.

---

(1) هولندا وتقع نصف أراضيها تحت مستوى البحر.

(2) البندقية وليفربول.

(3) بومبي وهركولانوم.

الداء . . .

نرى مما تقدم أن واجهة العاصمة المطلة على النيل قد أفسدتها أسباب ثلاثة :

الأول — إقامة المصانع على الشاطئ .

الثانى — الترخيص باقامة قمائن حرق الطوب فى مهب الهواء وخاصة جوار جسر امبابه .

الثالث — وهو أهمها : نظام الحكر الذى أوجد فى المناطق الزراعية الناضرة أسوأ المساكن وأحط الأحياء .

والدواء . . .

أما المصانع فليس لنا أن نشير بنقلها إلا بعد أن تنجلى الحرب القائمة وتجد الدولة من المال ما يكفى لتنفيذ هذا المشروع الكبير ، وأما ترخيص باقامة محارق الطوب وقمائنه فهذا ما يجب أن يسارع ولاة الأمور الى منعه حالا فليس من المعقول أو المقبول أن تستمر إدارة الرخص فى التصريح للناس باشغال الشاطئ بمثل هذه المنشآت الضارة كما لا يجوز بحال أن تجدد الرخص الصادرة عند انتهاء أجلها .

ننتقل أخيرا إلى أهم ما فى هذا البحث وهو أمر الحكر ومناطق الأحكار ، وعند لمسألة الحكر حلان : حل عام حاسم وآخر خاص بالأحياء التى عرضنا لها فى هذه العجالة .

أما العلاج الحاسم فهو صدار تشريع يلغى بموجبه نظام الحكر فى المدن الغاء تاما . فلا تصدر مصلحة التنظيم أو المجالس البلدية والمحلية فى غير العاصمة رخصة ما بالبناء ما لم تكن الأرض ملكا حرا لطالب الترخيص دون ذلك أدعى الى اهتمام البانى باتقان بنائه .

أما المناطق القائمة على الشاطئ فمن الميسور الخلاص منها باتفاق يعقد بين مصلحة الأملاك ووزارة الأوقاف لاستبدال هذه الأراضى بما يعادل قيمتها من أراضى الحكومة المستصلحة للزراعة ، وبهذا تستولى الحكومة على مساحات واسعة قيمة دون أن تبذل الخزانة فى ذلك شيئا .

كذلك يمكن للحكومة أن تنزع ملكية العقارات الخاصة بالأهلين فى هذه الجهات لتخليها وتقيم طريق الكورنيش فى المنطقة التى تبدأ من مدرسة الصناعات الميكانيكية حتى ساحل الغلال بروض الفرج .

ولن تصطدم الحكومة فى تحميل الشاطئ بعقبة مالية ، فالأراضى التى تنزع ملكيتها سواء من الأهلين أو ما يؤخذ بطريق البدل من الأوقاف سوف تباع بأثمان عالية ، إذ يمكن

تخطيطها تخطيطا حديثا ليقوم عليها حى راق يماثل فى موقعه حى قصر الدوبارة وجاردن سيتى ، كذلك يمكن إعداد بعض المتنزهات الصغيرة على طول الكورنيش ، تجاه أحيـاء بولاق وروض الفرج وشبرا بدلا من مخازن الشركات والقمائن والأفران .

وبعد . . .

وبعد فقد لبيت يا قارئى العزيز دعوتك ، وأجبت طلبتك ، وإذا رأيت فيما تشهد ما لا يقر به ناظرك أو يرضى خاطرك ، فاعلم أن ذا بعض مايقوم عليـه شعب تحنو عليه وجانب من بنيان وطن تنتسب إليه ، فإن كنت ممن بيدهم أمر أو نهى ، فقوم المعوج بيدك وإلا فقدم ما استطعت من لبنات لاصلاح هـذا البنيان ، واذكر أن نقدا لمـا نحن فيه خير من مديح ترتضيه ، فوالله ماضرنا الا أنا نبذنا الصدق وتجاهلنا الحق ومضينا نطوى الدهر أجيالا بعد أجيال نتغنى بالجمال ونستلهم الاعجاب من وحى الخيال ، ولو أننا عنينا حقا بالاصلاح ونهجنا سبيله القويم ، لحسن حالنا ولشهدنا عاصمـة البلاد كما يود القارئ اللائم نشهدها بحق عروس الشرق تختال على ضفاف النيل ! ... ؟

محمد عبد الكريم

كيف نربي ابناءنا

للأستاذ على حسنى ابراهيم

ضمنى وبعض الأصدقاء أحد المجالس ، وجرى بنا الحديث الى شباب هذا الجيل وما يلقى الآباء فى تربيتهم من المشقة والإرهاق ، وكيف تغيرت الحال عما كانت عليه قبل جيل واحد ، أيام كانت للأب الكلمة العليا فى منزله بين زوجه وأبنائه ، يحكم فلا راد لحكمه ، ويتكلم فلا معقب عليه .

واستفاض الحديث فى الأبناء ، واستفاضت الشكوى منهم : فهم لا يوقرون آباءهم كما كانوا هم يفعلون ولا يحلون نصحهم وارشادهم المحل اللائق من الامتثال والتقدير ، ولا يقبلون على الدروس كما كانوا يقبلون . وهم بعد ذلك أنانيون ، كثيرو المطالب والنفقات ، لا يبالون فى سبيل ذلك أن يحملوا آباءهم مالا قبل لهم به ، وأن يكلفوهم ما تنوء به مواردهم . ثم هم حريصون على أن تطلق لهم الحرية فى غدوهم ورواحهم ؛ وفى اصطحاب من يصطفون من الأصدقاء والرفقاء ، لا يستمعون فى ذلك لنصح ، ولا يأبهون لنقد .

واختلفت الآراء بين هؤلاء الأصدقاء فى أسباب هـذه الحال : فمن قال إنها ترجع إلى انتشار مبادئ الحرية وما صحبها من التحرر من قيود الأخلاق الفاضلة والتقاليد الصالحة ، ومن قائل إنها ترجع إلى تهاون الآباء ونزولهم عن سلطتهم التقليدية ، ومن قائل إنها أثر من آثار الفوضى التى تسود هذا الجيل فى تطوره من القديم إلى الحديث .

وكما اختلفت الآراء فى أسباب هذه الحال ، اختلفت كذلك فى وصف العلاج المناسب لها ، ولكنها اتفقت على أنها حال شديدة الخطر على مستقبل الشباب ، وعلى مستقبل الأمة .

ذكرنى هذا الحديث برجل عرفته من عهد بعيد : كان لهذا الرجل ولدان ، اجتمع فى أكبرهما كل صفات الولد الفاسد من عقوق لوالديه ، وتطاول عليهما ، وابتزازلأموالهما بالقوة والتهديد ، و إخفاق متوال فى المدرسة ، وكان أبوه دائم الشكوى منه ، كثير السخط والدعاء عليه . أما أصغرهما فكان قرة عين أبيه ، يظهر من الرضاء عنه والاستبشار به ، مقدار ما يبدى من السخط على أخيه واليأس منه ، وكان يعقد عليه الآمال الكبيرة ، ويرى فيه خير عوض عما فاته فى أخيه . وانقضت السنون ، وكبر الولد الأصغر ، فاذا هو نسخة أخرى من أخيه ، وصورة كاملة له ، واذا بالأب يلقى منه مالقى من أخيه ، ويشكو منه نفس الشكوى .

لم أعجب لما آل اليه أمر الولد الأصغر ، فقد نشأ وهو يرى فى أخيه قدوة سيئة لم تلبث عدواها أن سرت اليه ، ثم لقد كان هو الأخر — كما كان أخوه من قبل — ضحية لوالده فقد

كان ذلك الوالد على طيبة قلبه، وصدق طويته، أجهل الآباء بتربية أبنائه، وأقلهم استعدادا لذلك، ولم تكن الأم بأوفر من الأب فى ذلك حظا، أو أكثر توفيقا .

ذكرت هذا المثال لأدلل على أن المسئولية الكبرى فى تربية الأبناء إنما تقع قبل كل شيء على عاتق الآباء، وأن ليست مبادئ الحرية، ولا نزول الآباء عن سلطتهم التقليدية ولا فوضى التطور الحديث، ليس شيء من ذلك، بل وليست كلها مجتمعة بالسبب الحقيق لما نشكوه من شباب هذا الجيل .

لقد كانت تربية الأبناء منذ القدم — وستبقى أبدا — من أولى مهام الآباء وأجدرها بأن يعيروها كل عناية و يقفوا عليها كل جهد، وإذا كان الآباء يقولون الآن من المشقة فى تربية أبنائهم مالم يلقه أمثالهم من قبل فالموم فى ذلك واقع عليهم بعد تطور الزمن، وتطور معه الأبناء، وكان حقا على الآباء أن يسايروا هذا التطور، وأن يعدلوا فى أساليب تربية أبنائهم بما يتلاءم معه ولكنهم لم يفعلوا، أوهم حاولوا أن يفعلوا ولم يوفقوا، وكانت النتيجة أن أفلت منهم زمام أبنائهم أو كاد .

ليست الحرية التى يطالب بها الأبناء فى هذه الأيام، والتى يعزو اليها الآباء كثيرا من المساوئ شرا كلها، بل ليست شرا أصلا إذا عرف الآباء كيف يتخذون منها أداة تصلح من شأن أبنائهم، وتعينهم على خوض معترك الحياة، وعرفوا فى الوقت نفسه كيف يرسمون لها حدودا لا تتعداها، فلا تطغى على ما لهم من سلطة أبوية مشروعة هى الدعامة التى يرتكز عليها بناء الأسرة وتقوم سعادتها .

إن تربية الأبناء من كل الفنون له أصوله وقواعده، وإذا كنا لا نطمع فى أن يلم كل والد بتلك الأصول والقواعد، أو يتوفر على دراستها، فاننا ننتظر أن يعنى كل منهم العناية كلها بالتفكير فى تربية أبنائه، وأن يصغ لذلك الخاط المنظمة مسترشدا بتجاربه الخاصة، وتجارب سواه، وبما يوحيه إليه الذوق السليم وحسن التصرف .

وإذا كان من حق الوالد أن ينتظر من ابنه أن يشب بارا، مطيعا، مؤديا لواجبه، نافعا لأسرته، فان من واجبه — ومن مقدوره أيضا — أن يمهد له الطريق لذلك، و يعينه عليه، إذ ليس من العدل ولا من طبائع الأشياء أن ينال المرء حقوقه كاملة إلا إذا قام بواجباته كاملة كذلك .

ولن يتسع المقام هنا لقول كل ما يمكن قوله فيما يجب على الآباء اتباعه لتنشئة أبنائهم نشأة صالحة تحقق آمالهم، وترضى مطامحهم . فهذا سأقتصر على ذكر طائفة من المبادئ الأساسية أعتقد أن فى الأخذ بها تيسيرا لمهمة الآباء وقضاء على كثير من أسباب شكواهم، وإصلاحا لشأن الأبناء، وعونا لهم على تأدية واجبهم .

الطفل فى السنوات الأولى :

يجب أن يوضع أساس تربية الطفل فى السنين الأولى من عمره ، فان الطفل فى هذه السن يكون سريع التأثر بما يلقى عليه ، مطواعا ، سهل القياد ، يمكن تشكيل أخلاقه وصبها فى القالب الذى يختاره والداه . ثم ان الآثار التى تنطبع فى ذهنه فى هذه السن ، والأخلاق التى ينشأ عليها تبقى راسخة ، لا تنال منها الأيام ، ولا يضعفها الزمن .

لهذا يجب بذل العناية كلها بتربية الطفل فى حداثته ، ووضع " الدستور " الذى يحدد علاقاته بوالديه و باقى أفراد الأسرة . وهو دستور اذا وضع فى هذه السن وتشربته روح الطفل يكتسب كل ما للدساتير من قدامة ، واستقرار ، وصعوبة فى التعديل .

ويجب أن يعنى العناية كلها بالطفل الأول . فانه هو الذى سيكون قدوة أخوته من بعده ، يحتذون حذوه ، ويتبعون سيرته .

الوسط الذى ينشأ فيه الطفل :

تجب العناية بالوسط الذى ينشأ فيه الطفل ، فان الطفل — وبخاصة فى السنين الأولى — شديد التأثر بما يحيط به ، سريع القدوة ، شغوف بالمحاكاة والتقليد . لذلك يجب أن يجعل الوالدان من نفسهما خير قدوة ، وأن يعلما أن ولدهما يحصى عليهما كل حركة وكل كلمة ، فلا يتفوها أمامه بكلمة نابية ، ولا يأتيا ما لا يصح أن يطلع عليه . وليحذر كل منهما أن يظهر أمام أولاده بمظهر الكاذب ، أو الواشى ، أو المغتاب للغير ، أو المغتصب ماليس له . وليحرص الأبوان على ألا يطلع أبناؤهما على ماقد يقوم بينهما من خلاف أو شجار ، فان لذلك أسوأ الأثر فى نفوس الأبناء ، وفى احترامهم لوالديهم .

وتجب العناية بانتقاء الخدم ، ومراقبتهم ، وعدم الركون اليهم فى تربية الطفل . كما يجب اختيار الأولاد الذين يسمح له بمخالطتهم واللعب معهم .

كذلك يجب انتقاء الكتب والقصص التى يقرأها الأولاد ، و" الأفلام " والملاهى التى يذهبون لمشاهدتها .

دراسة الأطفال :

يجب أن يعنى الوالدان بدراسة كل طفل من أطفالهما على حدة ، والعمل على تفهم نفسيته ، والنزول الى مستواه العقلى لفهم تصرفاته و بواعثها ، وتبين مواطن ضعفه ، ومدى مقدرته ، وذلك حتى يمكن أخذه بما يلائمه من طرق التربية ، وحتى لا يكلف ما لا يطيق ،

فإن الأخوة . وإن ساعدت البيئة والوراثة على أن ينشأوا فى العادة متقاربين فى العقل والمزاج والخلق والأمانى ، كثيرا ما يختلفون فى بعض هذه الأشياء ، أو فيها جميعا لعوامل أخرى منها مرض الوالد أو الوالدة أو الطفل نفسه .

ويجب توجيه كل طفل الوجهة التى تلائم ميوله ، وتتفق واستعداده ، والتى تتجلى فيها مواهبه ، ويظهر نبوغه . فكثيرا ما ضاع مستقبل الطفل لأنه وجه وجهة أخرى غير ما أعدته لها الطبيعة .

وإذا كنت أدعو إلى أخذ كل ولد بما يتفق وطباعه ، فإنى أدعو كذلك إلى وجوب العدل فى معاملة الأولاد والتسوية بينهم ، فلا يختص الأبوان أحدا منهم بالعطف دون الآخرين ، أو ينصرا ولدا على أخيه إلا بالحق ، فإن التمييز بين الأولاد يبعث فى نفوسهم الغيرة والحسد ، ويفسد ما بين أعضاء الأسرة جميعا .

السلطة الأبوية :

يجب أن يحتفظ الأبوان بسلطتهما الأبوية كاملة ، فلا يسمحا أبدا بتجاهلها ، أو الانتقاص منها ، وليعلما أنهما لو تهاونا فى ذلك ولو مرة واحدة ، فقد عرضاها لخطر الضياع ، وأصبح من أشق الأمور عليهما استرجاعها ، وإعادتها سيرتها الأولى .

ولما كانت هذه المسألة هى مثار النزاع بين كثير من شباب هذا الجيل وبين آبائهم ، وكان من رأيى أن احتفاظ الآباء بها هو السبيل الوحيد لتمكينهم من تربية أبنائهم التربية الصحيحة ، وأنه فى صالح الولد نفسه كما هو فى صالح الأبوين وباقى الأسرة ، فإنى سأحاول هنا أن أدل الآباء على الوسيلة التى تمكنهم من الاحتفاظ بهذه السلطة مع تقبل الأبناء لها ، واطمئنانهم إليها .

يجب أن يشعر الطفل من بدء نشأته بسلطة والديه ، وبوجوب امتثاله لأوامرهما ، فإن الطفل فى السنين الأولى يكون كما قدمت مطواعا سهل القياد ، ومتى اعتاد الطفل هذه السلطة لم تجد نفسه مشيعة فى تقبلها والإذعان لها .

ويجب أن يشعر الولد بأن والديه لا يصدران فيما يلقيان إليه من أمر أو نهى إلا عن رغبة صادقة فى إسعاده ، والحرص على خيره ، وأنهما لا يفعلان ذلك إرضاء لشهوة عارضة ، أو لنزعة استبدادية . فإذا اطمأنت نفسه لذلك ، وسكنت إليه ، سهل عليه الانقياد لهما حتى لو غاب عنه أحيانا وجه الحكمة فى بعض تصرفاتهما .

ويجب أن يتدرج الأبوان فى منح ولدهما بعض الحقوق والحريات كلما تقدم فى السن ، فإن فى هذا إدخالا للسرور على نفسه ، وإشعارا له بتقدمه يوما عن يوم ، وتدريبا له على

استعمال تلك الحقوق والحريات . ويجب أن يكون منحها عن رضى واختيار ، فإن من أشنع الخطأ أن يعطى الآباء مثل هذه المنح نتيجة للضغط أو الإكراه لأن ذلك يذهب بكل قيمتها ، ويغرى الأبناء بالتمادى فى مطالبهم ، وعدم الوقوف بها عند حد .

ويجب احترام شخصية الطفل ، والعمل على تقويتها وإبرازها ، وإشعاره بأن له إرادة مستقلة لا يعترضها الأيوان إلا إذا خرجت به عن الطريق السوى ، فإن شخصية الطفل وإرادته المستقلة من أمضى أسلحته فى معترك الحياة ، ومن الجرم الذى لا يغتفر للوالدين أن يكونا سببا فى تجريده منها ، أو الإضعاف من قوتها .

المثوبة والعقاب :

لست أغالى إذا ذكرت أن المثوبة والعقاب — وهما أقوى مظاهر السلطة الأبوية — من أشد العوامل أثرا فى تربية الطفل ، وفى علاقته بوالديه ، وأن السبب فى نجاح فريق من الآباء فى تربية أبنائهم وفشل فريق آخر يرجع لدرجة كبيرة إلى أن الفريق الأول عرف كيف يحسن استعمالها ، بينما أساء الفريق الثانى ذلك .

فإثابة الطفل المحسن تشجعه على مداومة الإحسان ، وتشحذ همته ، وتقوى عزيمته ، وتغرى غيره بأن يحذو حذوه ، ويحسن مثله . ولكن المثوبة — ككل شىء آخر — يجب أن توضع موضعها ، وأن تتناسب مع العمل ، فهى تتدرج من نظرة رضا ، إلى كلمة ثناء ، إلى تحقيق رغبة من رغبات الطفل ، وتصل أخيرا إلى المكافأة المادية ؛ ولكن يجب عدم الإسراف فى الثناء وإلا ملك الغرور الطفل ، كما يجب الإقلال من المكافآت المادية ، وعدم منحها إلا لعمل جليل فوق ما ينتظر من الطفل عادة ، وإلا ضاعت الحكمة فيها ، واعتاد الطفل أن يقيس قيمة الأعمال بمقياس مادى صرف .

أما العقوبة فهى أكبر خطرا من الثواب ، وتستدعى حرصا أكثر فى تقديرها ، لما تسببه للطفل من الألم ، وما تشعره من المذلة ، وهى — كالمثوبة — ينبغى التقصد فى توقيعها ، والتجاوز أحيانا عن بعض الهنات القليلة الخطر ، وإلا فقدت تأثيرها ، كما ينبغى أن تتناسب مع الذنب ، وأن يشعر الطفل بأن ما ارتكبه من الخطأ يستحق العقوبة التى وقعت عليه ، وإلا ترك شعوره بالظلم أسوأ الآثار فى نفسه ، وينبغى كذلك ألا تكون من نوع يجرح كرامة الطفل أو يحقره فى نظر نفسه .

ويجب ألا يسرف الأب فى بذل الوعود ، أو التهديد والوعيد ؛ فإذا وعد تحتم عليه الوفاء ، وإذا أوعد كان عليه إنفاذ ما أوعد به ، كما يجب ألا يكون الوالد أسرع إلى العقوبة منه إلى المكافأة ، وألا يتجاهل حسنات أبنائه بينما هو يحصى عليهم كل سيئاتهم .

فى المدرسة :

تقوم المدرسة بإعداد الطفل للحياة العملية، ويشارك مدرسوها الوالدين فى تربية أبنائهم وتكوين أخلاقهم . فمهمة المنزل والمدرسة متشابهة . وواجباتها مشتبكة متداخلة ، لهذا كان التعاون بينهما ضروريا لنجاح الطفل، وكان على الأب أن يراقب سير أبنائه فى المدرسة وتقدمهم فيها ، وتأديتهم ما يكلفون به من واجباتها ، وأن يوالى إرشادهم وحثهم على الجد، وتشجيعهم إذا أحسنوا . ولومهم إذا قصروا، على ألا يبالغ فى شىء من ذلك و إلا فقدوا فضيلة الاعتماد على النفس ، وأصبحوا لا يؤدون شيئا من واجباتهم إلا لكى يسوقهم الأب إلى ذلك سوقا . وعليه ألا يتطلب من أحدهم فوق طاقته ، أو يلومه لقصور فى إدراكه ، أو يظهر يأسه منه ، و إلا فقد الولد ثقته بنفسه ، وفى ذلك أبلغ الضرر .

وعلى الأب ألا يطالب أبناءه بالمذاكرة طول الوقت ، وأن يسمح لهم بأن يستوفوا قسطهم من الراحة والاستجمام ، و إلا أدركهم التعب والسأم . ولم ينتفعوا بما يبذلونه من مجهود .

وعليه أن يعنى بتربية أبنائه البدنية عنايته بتربيتهم العلمية ، وأن يشجعهم عليها، ويمهد لهم سبلها ، ولا يضن بالوقت الذى ينفق فيها ، فان العقل السليم فى الجسم السليم كما تقول الحكمة القديمة . وقد أجمعت أمم العالم المتحضرة على أن تربية تنشىء العقول الراجحة ، والأخلاق المتينة ، كما تعنى بالأجسام القوية ، تحتلها لذلك المكان الأسمى من عنايتها .

دور الأم :

وليس دور الأم فى تربية أبنائها أقل خطرا من دور الأب ، فهى تستطيع بضم جهودها إلى جهود الأب أن تساعد على توجيه الولد الوجهة الصالحة، وقد تفصل بحنانها ولين أخلاقها والتسامح المتبادل بينها وبين أبنائها إلى ما لا يصل اليه الأب من التأثير فيهم ، وإصلاح شأنهم .

على حسنى إبراهيم

رياضة الصوم

للأستاذ عبد الحميد المشهدى

" يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج
ومن لم يستطع فليصم ، فإن الصوم له وجاء "
(حديث شريف)

يسير الجهاز الهضمى فى الإنسان طبق قانون ثابت ونظام محكم ، وبقدر ما يستقبل من أنواع الأطعمة والأشربة ويطهى منها ، يقدم للدورة الدموية غذاء ، وبقدر ما يتوفر لدى هذه الدورة من احتياطى الدم ، تنبعث الحرارة فى المجموع العصبى ويرهف الحس ، وتتنبه الميول الجنسية تنبها ليس له علاج مشروع إلا الزواج .

وقد تحول عوامل مختلفة دون الزواج ، فيظل المرء فى عراك دائم بين العقل والقلب ، أو بين الهوى والهدى ، يرهبه وعيد الله فى آياته ، وتروعه الأمراض التناسلية المهددة فى صحته ، وقد يرغبه الطمع فى سماحة الله وعفوه ، وأمل المرزوق من المأزق دون خطب ، ولكنه فى كلتا الحالين إما فريسة للضغط الدموى والإلحاح العصبى ، وإما فريسة الرذائل الخلقية والاجتماعية والصحية ما لم يجد هذا الضغط — فى حالة عدم الزواج — متنفسا أو مخففا ، ولا طريق إلى هذا التخفيف إلا الصوم ، وهذا ما يعنيه الحديث الكريم " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء " . وهذا بلا شك كشف إسلامى جليل الشأن ، رفع الغطاء عنه النبى الأمى قبل أن تعرف الدورة الدموية ووظيفتها فى جسم الإنسان بقرون ... ...

وليس المقصود من هذا صيام رمضان فحسب ، وإنما المقصود أن يحتفظ بهذا الدواء كوسيلة لمعالجة الفيضان الدموى والضغط العصبى لكل من أحس بقرب الهزيمة أمام عصابه وغالبته عوامل النفس والشيطان .

وقد تجفل بعض النفوس من مرارة الجوع وذل الحرمان ، فتماطل وتسوف فى تعاطى الدواء لتضمير النفس ذائبا فى كأس الصوم ، فما دام ذلك على سبيل الترغيب والاختيار ، فكتب الله الصيام على القادرين شهرا فى كل عام ليكون هذا التضمير إحدى فوائده العظيمة وآثاره الجلى . قال صلى الله عليه وسلم : " إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم ،

فضيقوا عليه مجاريه بالجوع ، ومثل الجوع يساعد فى غض البصر عن محارم الناس ، لاسيما وقد عفا الاسلام عن نظرة الفجاءة ، ولا يشجع على النظرة الثانية والإمعان فيها ، إلا استجابة المراكز العصبية لنداء العيون ، فاذا لم تستجب لها هذه المراكز بسبب الخضوب المترتب على الصيام — انصرفت الأنظار وتركت حلمها — غير آسفة — عالما ماؤه الاستهتار والحيوانية ، وانشره والإباحية . قال صلى الله عليه وسلم : " لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية " ، بينما يقول المسيح عليه السلام " كل من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى فى قلبه ، فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم " .

على أن الصوم من شأنه تجفيف الجهاز الهضمى من الرطوبات وفناء الرواسب المتخلفة من كثرة الأطعمة وتقليل الفازات الضارة ، كما ذكر ذلك الحكيم ابن سينا مفصلا فى كتابه . قال صلى الله عليه وسلم " ما ملأ آدمى وعاء شرا من البطن ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه " وقالت عائشة رضى الله عنها " أول بلاء حدث فى هذه الأمة ، بعد نبيها ، الشبع . فان القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم فضعفت قلوبهم و جمحت شهواتهم " .

لعل هذا بعض ما يترتب على الصوم من الناحية المادية ، أما ما يمكن أن يترتب عليه من الناحية الروحية فسل هؤلاء الذين ضمرت أبدانهم وصفت نفوسهم وشفت أرواحهم ونفذت بصيرتهم ، واستوت نواميس الحياة أمامهم ، وذلت الصعاب تحت أقدامهم ، فصارت بدايتهم نهاية غيرهم ، وساعتهم دهرا فى حياة سواهم " أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب " .

فلو أن إنسانا حاول أن يكون مجرد تساح لمؤلفات الإمام الغزالى فى سنى حياته لعجز قبل الوصول إلى منتصف الشوط ، فكيف بتأليفها وتحيصها ومراجعة مراجعها وتدوينها فى ضوء ذبالة زيت بأعتة متهافتة ؟ ؟

الذى لا شك فيه أن مثل محيى الدين بن عربى والسهروردى والجيلى والغزالى وغيرهم ، قد منحهم الصوم قوة خارقة للعادة فاجتازوا برزخ الشريعة إلى نهر الحقيقة فشربوا حتى علوا ثم درسوا ودونوا من العلوم والمعارف المختلفة ما تحير كثرته وعمقه الألباب ، وهكذا يقول الله : " وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ " وفى الحديث " ما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه " . وأكثر مفسرى هذا الحديث على أن الصوم هو العمل الذى لا يعتوره الرياء لأنه سر بين الصائم وربه وقد استدلوا بقول الرسول الكريم عن ربه " كل عمل بن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به " .

وما كان لفلاسفة المصريين القدامى واليونان الذين فتنوا الدنيا بذهنياتهم و إنتاجهم ، وما كان للهتما غاندى الزعيم الهندى المعروف أن يصل إلى مثل مكانته الأدبية والروحية فى بلاده إلا بفضل ما أخذوا أنفسهم به من رياضة الصوم . ويقول أحد فلاسفة أوربا الحديثة : إن الصيام هو سر فلسفة الإسلام العظيمة .

* * *

إن فى مفاجأة رمضان للنظام الذى ألفه الناس طيلة العام طعاما وشرابا ومتعة — ما جعلهم يدركون أثر النعمة بعد الحرمان ، ولذة الإباحة بعد المنع ، و جمال الرى والشبع بعد الجوع والعطش ، و إذا أحس الناس بجلال هذه النعم جازوها شكرا لله على آلائه وسخاء على الفقراء والمعوزين ، وما كان للأغنياء أن يتذوقوا مرارة الجوع إلا عن طريق فريضة الصوم ، وعندها يكون عطفهم على ذوى الحاجات والمعوزين أسرع من صدى ضراعتهم إحساسا بهذا الدور المشترك مر بأمعائهم وزار مرائرهم .

لقد سوى الله بين الفقراء والأغنياء وبين الملوك والسوقة فى الحرمان من اللذائذ والكف عن المفطرات شهرا كاملا . والمساواة فى الحقوق والواجبات من أسمى ما جاءت به الشرائع السماوية ، وأجل ما تسعى إلى تحقيقه الشرائع الوضعية ، على ما فى ذلك للأغنياء من عبر وتزكية ، وللفقراء من عزاء وتسلية . قال الرسول الأمين " الناس سواسية كأسنان المشط . . . لا فضل لعربى على عجمى إلا بدين أو عمل صالح " .

إن قيامة الإنسان على نفسه ووقوفه أمام المفطرات فى نهار رمضان وقفة المستعصم ، مما يركز فى النفس عوامل القناعة ، وأسباب الاحتمال والمجالدة ومغالبة الخطوب والأحداث ، و إذا تسلح الإنسان بهذه الأسلحة ، ملك على الزمن زمامه ودانت له أعنة الصعاب ، فتراه فى سلمه ذلك المكافح الجلد ، والمرزوء الراضى بما رزئ به ، وفى حربه ذلك الجندى الشجاع والمحارب الصامد الصبور .

وإن جوانب التاريخ لتفوح بشذى البطولة الإسلامية بصفة عامة والمصرية بصفة خاصة وهذه صفحاتهم البيض فى حرب المكسيك والسودان و بلاد العرب تزين هامة التاريخ وتشهد لهم بالمزايا الحربية العالية . وكل ذلك بفضل ما تبعثه فضائل الصوم فى نفوس الجنود الصادقين من الجد والاحتمال لمضنيات الجوع والعطش ولافحات الحر الشديد . وفى الحديث " الصوم نصف الصبر " .

إن سواد المسلمين لا يصومون ، أو إن سواد الصائمين لا ينتفعون بصيامهم ، وما صيامهم إلا مجرد تغيير لمواعيد الطعام عندهم ، فضلا عما يضاف إلى هذه الموائد من مبتكرات رمضان وتقاليده ، مما أفقدهم ثمار الصوم وآياته ، وأفقدهم معه الاقتناع بما ورد على لسان العلماء

والحضارة والتمدين في تلك الأمة ، وعلموا أنهم منه في موطن الداء ومكان العلة ، وأنهم صورة مشوهة للإسلام أمام الأغيار ، فسلحوا ضده بهم ، وكانوا حربا عليه معهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، وكأن الحديث الشريف يخاطبهم حين يقول " رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش " بل كأن الشاعر قد عناهم على لسان الإسلام بقوله :

وأبناء تخذتهموا دروعا ... فكانوها ولكن للأعادى

وحلتهموا سهاما صائبات ... فكانوها ولكن في فؤادى

إن الإسلام من حيث هو ، دين قويم ، وإن الصيام من حيث هو ، شرعة عالية وفريضة سامية ، متى سوّرت بشروطها وأركانها ، وأحيطت بآدابها ومستلزماتها ، وإلا فإن المسلمين شيء والإسلام شيء آخر ، وفرق كبير في هذه الحالة بين المسلمين والإسلام .

فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

عبد الحميد المشهدى

أبناء السبيل

بقلم الأستاذ عبد الحميد ابراهيم صالح

لا أريد أن أسهب فى وصف هذه البأساء التى يعانيها أولئك المشردون فى نسبين ، ولا استدر دموع القراء حزنا على حال أولئك المساكين ، المحرومين من المأوى ومن الطعام واللباس ، ومن حنان الآباء والأمهات ، المطاردين فى الليل وفى النهار من رجال البوليس ، تعمل عصيهم فى أبدانهم دون رأفة ولا شفقة ، وقد نسوا أن أولئك الضعاف هم من أبناء الوطن ومن فلذات كبده ، وأنهم بهذه القسوة ينبهون غرائز الشر فى نفوسهم ، ويسوقونهم الى حياة كلها ضلال ، وكلها عبث وإجرام .

لندع هذا الرثاء لحالهم ، لنفكر فى إصلاحهم وردهم الى البيئة الطيبة ، ومحاولة الانتفاع بهم ليكونوا أعضاء عاملين فى هذا المجموع المصرى ، ولا يكونوا داء تستشرى عدواه ويمتد الى سواهم أذاه .

ولنطرح الاعتماد على قانون الأحداث ، وما يفرضه من عقوبات على المشردين ، فليس أحدهم بالشدة ولا جلدهم ولا زجهم فى غيابة السجن بعلاج لحالهم ولا فيه أصلاح لنفوسهم أو عقولهم ، وما ينبغى لنا أن نعتمد على القهر فى كل شىء ، ولا سبيل أقوم من حسن توجيه المنوطين بتعهد أولئك الأحداث ، وتلقينهم (أى المنوطين) تعاليم رشيدة وخططا قويمة للتربية والتهذيب ، وأولئك منوطون هم الذين يجب أن يعاقبهم القانون اذا قصروا فى العناية بمن فى عهدتهم من الأطفال ، أو حرموهم من الرعاية الواجبة .

ولنا أسوة حسنة فى الممالك المتحضرة التى انتبهت الى تكاثر عدد المشردين و ستفحال خطرهم الى الحد الذى يضر بسمعة الدولة كلها ، فسنت القوانين المرشدة لأولياء أمرهم والمسئولين عنهم ، أما من لا أهل لهم فقد كفلتهم الحكومة ، وجعلت تؤويهم وتهذبهم وتدربهم على الصناعات والزراعات ، وعلى خدمة العسكرية وغيرها من الأعمال النافعة .

وعلينا أول الأمر ، أن نتعرف أسباب التشرد على ضوء التجارب والمشاهدات .

السبب الأول — وهو من البديهيات — الفقر وضيق ميادين العمل والارتزاق ، مع تزايد السكان وارتفاع مستوى الحياة العامة ومطالبها كل يوم ، وفى هذا الإجمال ما يغنى مؤقتا عن تفصيل أسباب الفقر فان شرحه يطول . ولكن آثار الفقر ومظاهره المؤلمة قد أصبحت من الكثرة والشيوع بحيث لا تخفى على أحد ، فالفلاح الذى يكدح ولا يصادف

إلا القليل من الرزق ، والساعي أو الخادم الذي يتقاضى قروشا ويعول سبعة من الأطفال أو ثمانية ، ولا يعطى علاوات تماشى تزايد نفقاته ، ونمو مسئولياته ، والعاطل الذي تزوج ورزقه غير مكفول وحياته غير مستقرة ، كل أولئك وأمثالهم ، ماذا يصنعون في سبيل رعاية أطفالهم ؟ وكيف يقومون بإطعامهم من طعام ولباس وتعليم ، ما داموا مكدودين أو محرومين ؟

كثير من أولئك يلجأون الى إرسال بنيهم وبناتهم خدما في البيوت ، فان لم يوفقوا تركوهم في الطريق يلتمسون قوتهم بأنفسهم ، فهم بعد ذلك اما متسولون وإما مجرمون مادام لا بد لهم من طعام ، ولقد استعصى عليهم حلالا فما لهم لا يلتمسونه حراما ؟ وهم على الحالين لا مأوى لهم إلا فضاء الشارع أو ضيق السجن ، ولا خير فيهم لأنفسهم ولا للمجتمع .

ولنضف الى الفقر أسبابا أخرى لتشرد الأطفال ، أهمها الجهل ، ثم فوضى الزواج والطلاق .

فمن مظاهر الجهل أن يضطر الرجل بولده على الجيش فيقترض له البدل النقدي العسكري وقد يبيع لهذا الغرض أثاث بيته وحلي امرأته ، ويستبق ابنه الشاب ثم يزوجه فتصير الأسرة أسرتين ، وعدد الأطفال عددين ، فلا بد من العجز عن إعالة نفر منهم ؛ ولا عاصم لهذا النفر من التشرد ؛ وما وراء التشرد من فساد وإفساد .

ومن نكبات الجهل ، سوء التربية في البيت ، بأن يقسو الآباء في تأديب أبنائهم ويأخذوهم بالعصا تلهب أبدانهم ، أو بالعمل الشاق في الحقل وغيره ، وأجسامهم لا تزال غضة ضعيفة ، فيتبرم الولد بهذه الحياة المضنية الذليلة ، ويفر من البيت إلى الشارع التماسا للحرية وللرحمة ، باذلا أقصى جهده لكيلا يعثر عليه أبواه ، وإذا هو بعد ذلك الشريد الهائم على وجهه ، المستهدف لما وصفنا من ضياع وسوء حال .

ومن الجهل أيضا ، الإسراف في الرأفة بالطفل إلى حد التدليل ، والتدليل ينتج ما تنتجه القسوة ، فالطفل الذي يجاب إلى كل ما يطلب ، ولا يجد من أبويه حزما وصرامة ، لا بد أن يرفض التعليم ويتمرد على النصيحة ثم يسيء الأدب في حق أبويه وذويه ، ويختلط في طفولته بفاسدي الأخلاق ممن هم أكبر سنا ، ويذهب في سذاجته إلى تقليدهم حتى يستعصى على ذويه أن يحكموه أو يسوسوه ، وما أسهل انطلاقه بعد هذا إلى الشارع ، وكثيرا ما نرى أطفالا في العاشرة أو الثانية عشرة ، يجلسون مجتمعين على أنار يز الطرق وفي أفواههم لفائف التبغ وبين أيديهم أوراق اللعب يتشاحنون عليها ويختلفون ، مقلدين الكبار وهم لا يزالون صغارا ، متشبهين بالأغنياء وهم معدمون جائعون ، وألسنتهم خلال هذا وذاك تقذف أقذر الألفاظ وأدنس الشتائم ، وقد تخلصوا من رقابة المسئولين عنهم وألفوا مطاردة البوليس لهم ، وصار التشرد مهنة محببة إليهم .

وفوضى الزواج والطلاق ، لهـا شأن كبير فى تكوين هذا الجيش من المتشردين ، فان سهولة زواج اثنين وثلاث وأربع ، مع عدم القدرة على تكاليف هـــذه البيوت فى أكثر الأحوال ، يترتب عليها كثرة الأولاد ثم العجز عن الانفاق عليهم ، فمن لم تتسع لإعانتهم أرزاق أبيهم كفلهم الشارع وصاروا هائمين مشردين ، هذا عدا ما لا مفر منـه من شقاق وبغضاء بين الإخوة غير الأشقاء خصوصا إذا مات عائلهم وهم صغار، وكان ميراثه لا يسمح بصيانتهم جميعا ؛ أو طغى فريق من الورثة على الفريق الآخر فتركه نهبا للجوع وللضياع .

كما أن سهولة الطـلاق تنتهى بكثير من الأولاد إلى التشرد ، فهم إما أن يتركوا لرعاية أمهم المطلقة ، منهجورين من أبيهم وليس للام من السطوة أو القدرة ما يكفل للا ولاد تربية منظمة وسيرا مستقيما ، و إما أن ينزعوا من حضن أمهم ليكونوا تحت رحمـة زوجة جديدة لأبيهم ، وامرأة الأب لا ترحم ولا تطيق أبناء زوجها خصوصا إذا كان لهـا أبناء آخرون ، و يضيع الأطفال بين أمهم وأبيهم ، وقد يكون مصيرهم إلى الشارع كما كان مصير من ذكرنا .

* * *

هذه أمثلة قليلة ممـا نرى على مسرح الحياة .

و إنى أرى لعلاج هذه الحال ، اتباع البرنامج الآتى :

أولا — إقامة منشآت يجمع فيها البوليس هذا الجيش من المشردين والمتسكعين ليقوموا فيها بأى عمل، نظير العناية بهم طعاما ولباسا وسكنا وتعليما ، ثم يبقون تحت الرقابة الحكومية حتى يثبت أنهم أصلحوا وصاروا قادرين على الكسب الشريف ، و إلا قضوا العمر كله على هذه الحال .

ثانيا — اتخاذ الإجراءات الآتية لكيلا يوجد مشردون فى المستقبل :

(ا) عمل قوانين صارمة لمحاكمة آباء وأولياء الأطفال المهملين .

(ب) عمل دعاية واسعة النطاق لحمل الشعب على تكوين عدد وافر من الجمعيات الخيرية ، ولحض الأسر ذات الكرم والنخوة على إيواء وتعهد الأيتام واللقطاء.

وفى الوقت نفسه يجب أن تمضى الحكومة فى إنشاء الملاجىء ولتستعن فى ذلك بضريبة الزكاة التى اقترحها حضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا .

(ج) إنشاء عيادات سيكولوجية لفحص هؤلاء الأطفال سواء أكانوا بالملاجئ أو فى عهدة جمعيات خيرية أو أسر كريمة ، والمراد من هذا فحص حالة الطفل طبيا ونفسانيا ومعرفة علة فساده ، وكذلك كشف ناحيـة النفع والاستعداد فيه ، كى تشجع و يوجه إليها .

ثالثا — بما أننا قد أوضحنا الضرر الناشئ ، من سهولة الزواج بأثنتين وثلاث وأربع ، ومن سهولة الطلاق أيضا ، وبما أن لهاتين المسألتين حدودهما الشرعية التي لا أستبيح لنفسي الخوض فيها ، فكل ما أطمع فيه — من الناحية الاجتماعية — الإسراع بسن القوانين التي تنظم التعدد والطلاق ولا تبيحهما إلا لضرورة ملجئة ، وبذلك نقلل ما استطعنا عدد الأطفال الذين يحرمون بسبب التعدد والطلاق من عطف الأمومة ومن حسن الرعاية في ظل الوالدين المتحابين .

وكذلك أطمع في فرض ضريبة على كل عازب وعازبة ، والعمل على تخفيض المهور حتى لا يظل الزواج أمرا مرهقا مخوفا ، وإذا عم الزواج قل البغاء وقل عدد اللقطاء .

رابعا — تعديل التشريع تعديلا يلزم المحاكم بأن تحكم بثبوت بنوة الطفل لأبيه ما دام قد ارتكب جريمة الزنا مع أمه ، وإلزام الأب بالعناية بهذا الابن غير الشرعي ، الذي لم يكن له ذنب في الإقدام على هذه الحياة ، إذ لا يجوز أن يستمتع الناس بإرضاء شهواتهم ثم يتركوا ثمرة هذا المتاع صحية بريئة ، ويسيئوا إلى هذا الوليد المسكين وإلى المجتمع عامة ، ويدخل في هذا الباب تشديد العقوبات على مرتكبي جريمة الزنا رجالا ونساء ، وعدم ترك الحرية للزوج الذي زنت زوجته في أن يسمح بحياتها أو لا يسمح .

خامسا — بعد أن يربى الطفل في الملجأ أو في المؤسسة الخيرية أو الحكومية أو بواسطة الأسر المحبة لعمل الخير — تعمل الحكومة على توجيه هؤلاء الأطفال ، كل إلى العمل الذي يتجه فيه ، والذي يلائم ما أتته الفحص السيكولوجي من حالته .

وإني أرى إقامة منشآت ومصانع يوزع عليها هؤلاء الأطفال ويظلون مدة معقولة تحت رعاية الحكومة حتى ينضجوا ويستطيعوا الاستقلال بجهودهم وتدبر حياتهم بأنفسهم ، ويدخل في هذه الرعاية بث الأخلاق الفاضلة والتعاليم الدينية في نفوسهم ليتجاوزوا المراحل الأولى من الحياة في مأمن من ضلال الطفولة وطيش الصغر .

* * *

هذا — أولا وأخيرا — في حاجة إلى عمل سريع لإصلاح شريدي اليوم ، ومنع التشرد في المستقبل ، وقد كان هذا الذي تتجه إجمالا في وقت الحكومة والهيئات الإصلاحية إلى تشريع وتفصيل ما

عبد الحميد إبراهيم صالح

تحسين حال الفلاح

للأستاذ عريان يوسف سعد

ليس هذا مقالا يكتب ليقرأ و إنما هو مشروع عملي يجرب في احالات فردية والذي أرمي إليه هو تعميمه على يد الحكومة .

تتردد في الدوائر المسئولة في البلاد أصداء الرغبة الملكية السامية في رفع مستوى الفلاح والنهوض به من الناحية الاجتماعية والصحية وقد نشطت مختلف الهيئات كل في دائرة اختصاصها تحاول تحسين حال الفلاح تحقيقا لرغبة جلالة الملك .

كذلك يتوالى الخطباء في مجلسي الشيوخ والنواب عند مناقشة سياسة الحكومة عقب إلقاء خطاب العرش وعند بحث الميزانية، فيكررون كل عام رغبات وآمالا كلها عطف على الفلاح وأخذ بناصره ولكن تلك الخطب لم تعين طريقة عملية لتحقيق تلك الرغبات فبقيت سياسة الحكومة كما هي كلها عطف على الفلاح واستعداد للأخذ بيده ولكن طريقة الأخذ بيده لم تحدد حتى الآن حتى يبدأ تنفيذها فبقي الحال كما هو إذا استثنينا النصح والإرشاد وتوفير وسائل العلاج وماء الشرب ، ولكن النصح والارشاد من ناحية وتوفير وسائل العلاج وماء الشرب من ناحية أخرى لا تجدي نفعا ما دام الفلاح لا يجد الغذاء وشيئا من المال مهما قل يستعين به على ما يحتاج إليه من وسائل ترفيه العيش .

ولقد فكرت في أمر الفلاح العامل بيدة و رجعت إلى زمن الطفولة والشباب حين كنت ناشئا بين الفلاحين ألعب مع أولادهم ، وشبا أشرف عليهم في زراعة والدي وذكرت ما التجأ إليه من وسائل لتحسين حال فلاح فقير نشيط ، فذكرت طريقة عملية أثرها كالسحر في تحسين حاله ، لو أن الحكومة تولت تعميمها عادت على الفلاحين بأحسن النتائج وعادت على البلاد كلها بكثير من الرخاء وكانت سببا في انتشار صناعات لا شك في قيمتها .

تلك الطريقة قديمة معروفة في الريف يستغلها كثيرون ممن يتوافر لديهم شيء من المال في استدرار الربح الكبير وأعتقد أنها منحدرة مع الزمن من أيام الفراعنة .

تلك الطريقة هي أننا كنا نشتري عجلة الجاموس صغيرة لا يزيد ثمنها على أربعة جنيهات ونعطيها للفلاح المتزوج الفقير شركة بيننا و بينه تعنى بها زوجته وأولاده فيبدأ مع دخولها بيته نجم سعده يرتفع، ذلك أن روثها يكون سمادا لنصف فدان من الذرة يزرعه فإذا مر عام

وبعض عام حمات فلا يمضى عام إلا وهى حبلى تلد، وهذا لبدأ الخير الأكبر، فوجود اللبن فى بيت الفلاح هو الينبوع الصحة له ولأولاده وهو ينبوع الخير والبركة، يهدد من ثمن العجل الذى ولد نصف ثمن العجلة وبعظمه، ومن ذلك اللبن تصنع زوجه السمن فتبيع ما زاد عن حاجتها منه — وحاجتها منه قليلة — ثم تصنع من باقى اللبن الجبن تبيع منه أيضا ما زاد عن حاجتها .

فتشترى مما يصل إليها من دراهم كتاكيت تربيها ، لا يمضى زمن قليل حتى تصبح دجاجا بيض وتبيع بيضه .

وإن من عاش فى الريف يعلم أن الفلاح الذى يربى فى بيته جاموسة، فلاح يرغب فيه أصحاب الأرض يؤجرون له أرضهم لما لديه من ضمان السداد ولأنه يستطيع أن يزامل فلاحا آخر لحرث الأرض ولأن سداد الجاموسة البلدى ضمان لتحسن المحصول ، كذلك تستطيع أن تميز الفلاح صاحب الجاموسة عن غيره فهو أحسن صحة وأحسن كسوة هو وأولاده من غيره من الفلاحين المحرومين من نعمة اللبن .

وهكذا ينتقل الفلاح من حالة الجوع والعرى وعدم الثقة به والرغبة عنه إلى الشبع والكسوة والثقة به والرغبة فيه من أصحاب الأرض ، وكل ذلك بهذا المبلغ الضئيل (ثمن العجلة) وليس هو مع ذلك بالمبلغ الضائع فإن العجلة التى اشتريت بأربعة جنيهات قد صارت جاموسة ثمنها يتراوح فى الأحوال العادية بين خمسة عشر جنيها وعشرين جنيها نصف الثمن لدافع الجنيهات الأربع وهكذا — صارت تلك الجنيهات — علاوة على ما أدت من خدمة غير محدودة لذلك الفلاح — ثلاثة أضعاف ما كانت قبل سنتين اثنتين وهى فوق ذلك تدر ربحا ثمن ما يباع من أولادها .

هذه الطريقة يعرفها أهل الريف حق المعرفة ويؤمنون بنتائجها أقوى الايمان وقد قال لى صديق من أصحاب الأطيان إن الاحتفاظ بالفلاح فى مزارعه مشكلة فلا أقل سبب يتركه ويلتحق بخدمة غيره فإذا أعطاه عجلة وأصبحت العجلة جاموسة كان بقاؤه فى خدمته ثابتا لا تؤثر فيه المغازلات التى كانت تكفى لخروجه قبل أن تكون له جاموسة . وقال إن الفلاح الذى يعمل بيديه لا يسعد حاله إلا وجود الجاموسة فى بيته ولا يخرب بيته مثل موت جاموسته أو بيعها بيعا اضطراريا لسداد إيجارة أو دين حتى إنه ليحزن لموتها أكثر من حزنه لموت طفل من أطفاله .

هذه الطريقة إذا عممت عم الخير ونشأت صناعة منتجات الألبان من جبن مختلف الأنواع وفى وجود الكثيرين من خريجى المدارس الزراعية ما يضمن أن تأتى تلك الصناعة بما تأتيه فى البلاد الزراعية الأخرى ، كذلك تتقدم صناعة الجلود لكثرة ما يذبح من ذكور العجول وربما نشأت صناعة أخرى هى صناعة اللحوم المحفوظة فى العلب .

وطريقة التعميم هى أن ترصد الحكومة فى الميزانيـة مائة ألف من الجنيهات كل عام تشترى بها إناث العجول و باعتبار الثمن أربعة جنيهات يكون عدد الفلاحين الذين ينالهم هذا المشروع فى أول سنة ٢٥ ألفا يختارون من الفلاحين الذين كان لهم جاموس بيع أو مات من عهد قريب ، و يرصد مثل هذا المبلغ سنويا فيزداد العدد كل عام ٢٥ ألف عجلة توزع على ٢٥ ألف بيت .

بقيت الإشارة الى عقبتين : الأولى توفير هذه العجول والثانية ضمانها عند الفلاحين ، اما توفير هذا العدد فيكون باصدار تشريع يمنع ذبح إناث الجاموس والبقر إذا كانت سنها أقل من ثمـان سنين ، بدل التشريع الحالى الذى يبيح الذبح بعد أن تبلغ أربعة أعوام و إذا أريد التوسع فى المشروع أمكن بعد الحرب أن تستورد إناث البقر من أستراليا ورومانيا وغيرهما من البلاد الزراعية .

والعقبة الثانية وهى ضمان هـذه العجول حتى لا تضيع أموال الحكومة وذلك الضمان منوط بصرافى القرى والمشايخ والعمد ، وهناك ضمان طبيعى أقوى وأشد ، وهو رعاية الفلاح لتلك العجلة فانه يرعاها كطفل من أولاده وأكثر .

أشار بعض رجال الاقتصاد إلى التفكير فى إيجاد محاصيل جديدة كعلاج لرفع مستوى الفلاح ولكن تلك المحاصيل سينتفع بها أصحاب الأطيان ويبقى الفلاح الزارع حيث هو من الجوع والعرى ، أما المحصول الذى يذهب إلى بطن الفلاح وجيبه فهو اللبن .

كذلك أريد أن أشير الى أن تعميم هذا المشروع سيؤدى الى تحقيق رغبة ملكية سامية هو مقاومة الحفاء فان نسبة الحفاة بين الفلاحين الذين يملكون جاموسة نسبة ضئيلة ، فاذا عم المشروع كان فى تعميمه مقاومة ضمنية للحفاء .

واذ أختم هذه الكلمة أوجه النظر مرة أخرى الى الكلمة التى قدمتها بها ، وهى أنها ليست مقالا ينشر ليقرأ وانما هو مشروع يحتاج إلى الدراسة حتى إذا ظهرت صلاحيته وسلامة أسسه أدرج لتنفيذه المبلغ اللازم ولى كبير الأمل أن ينال من العناية ما يستحقه الفلاح من عناية لا ما لكاتبه من قدر .

عريان يوسف سعد

لغة الدواوين

للأستاذ محمد عيسى

يراد بالتصريح فى لغة الدواوين إباحة ما لا يباح إلا بإذن خاص ممن يملك ذلك الإذن بحكم القانون .

وبهذا المعنى يتردد التصريح ومشتقاته فى شتى العبارات ، ويدور فى كثير من المكاتبات.

فالموظف لا يباح له التخلف عن عمله يوما أو أياما إلا بموافقة رئيسه . فإذا التمس الموظف تلك الموافقة ، قيل إنه يطلب التصريح بإجازة . فإذا وافق الرئيس كتب إلى الموظف أن قد صرح له بالإجازة المطلوبة ، وكثيرا ما تحل تصرح لفلان محل صرح له ، على عادة الدواوين فى وضع مادة تفعل فى موضع الفعل المبنى للمجهول ، مثل تنبه عليه ! !

وتلاحظ كذا ! ! وهو تزيد فى الخطأ وامعان فى مهاجرة الصواب .

وإقامة الموالد أو فتح الأسواق يتوقف كل منهما على إذن الجهة الحكومية المنوط بها أمر الموالد أو الأسواق فإذا أذن فى إقامتها أو فتحها ، عبرت الدواوين عن ذلك بالتصريح بإقامة المولد أو فتح السوق .

والمناطق الحربية مثلا يحظر السفر إليها أو دخولها إلا بجواز خاص ، فإذا حصل انسان على هذا الجواز ، قالت الدواوين إنه يحمل تصريحا باجتياز المنطقة أو دخولها .

وهكذا أصبح التصريح فى لغة الدواوين مرادفا للإباحة ، فالمصرح به مباح ، وغير المصرح به محظور .

ولا أحب أن أغلو فى الحكم على هذا التعبير فأنسبه إلى الخطأ الصراح ، مادام فى لطافة الذهن يلتمس له وجه من الصواب ، وهو أن الدواوين إنما استعملت هذه المادة فى تلك المعانى على سبيل المجاز ، لأنه لما كان الأمر الذى يبيح غير المباح يجب أن يكون أمرا واضحا صريحا لا لبس فيه ولا غموض ، جاز أن يسمى تصريحا تسمية للشىء بأخص صفاته .

ولكنى أريد أن أقول إن هذا اعتساف ، وركوب لطرق مجهولة فى التعبير عن أغراض يجب اللغة الوصول إليها بمناهج واضحة المعالم ، بينة الحدود .

فالموظف الذى يطلب موافقة رئيسه على التغيب عن العمل إنما يستمنح إجازة ، لأن القانون المالى يعتبر الإجازة منحة ، أو هو يستأذن فى إجازة ، فإذا وافق الرئيس ، فقد منح الموظف الإجازة ، أو أذن له فيها أو رخص له فيها ، لأن الإذن فى الشىء معناه لغة إباحة والرخصة والترخيص فى اللغة : التيسير والتسهيل ، ومثل هذا يقال فى اجتياز المناطق المحظور دخولها وفى إقامة الموالد وفتح الأسواق وفى كل ما يتصل بهذا المعنى مما تستعمل فيه مادة التصريح .

وبذلك تتاح للدواوين جملة من الألفاظ المألوفة كالمنح والإذن والرخصة والترخيص والإباحة والجواز والإجازة ، للدلالة على المعانى التى أكرهت التصريح على أدائها .

ولو أنها فعلت لأكسبت لغتها مادة من الألفاظ وصورا من التراكيب ، تنبىء عن غنى اللغة ، وتجلو جمالها ، وتعين على تحديد المعانى ، وتمير الأغراض .

فالتصريح إذن كما يجرى فى لغة الدواوين ، لم تعرفه اللغة العربية وضعا ، ولم تألفه استعمالا ، إذ هو فى لغة العرب مصدر صرح بمعنى أن كشف وظهر أو كشف وأظهر ، يستعمل لازما ومتعديا .

يقال : صرح الحق عن محضه ، أى كشف عن خالصه وهو مثل فى ظهور الأمر غب استتاره .

وصرح النهار : ذهب سحابه وضاءت شمسه . وصرحت الأمر وأصرحته : بينته وأوضحته . وصرح فلان بما فى نفسه : أبداه وأظهره وتصرح الزبد عن الخمر : انجلى تخلص وانصرح الحق : انكشف وبان ، ومنه الصراحة وهى الخلوص والوضوح ، والصريح صفة لكل شىء بين واضح خالص من الشوائب ، يقال : هو صريح النسب ، وصريح النسمة ، وابن صريح ذهبت رغوته .

أما التصريح حين يراد به الكلام ، فهو التعبير عن المراد بلفظ خالص ظاهر ، لا يحتمل المجاز ولا التأويل ، ويستعمل بهذا المعنى صوابا فى الصحف والأحاديث ، يقال تصريح رئيس الحكومة عن مسألة القطن ، أو عن علاقة مصر بالدول العربية ونحو ذلك .

والتصريح فى البلاغة خلاف التعريض ، أى هو الدلالة على المعنى من طريق المفهوم على أن المراد فى التعريض ، يفهم من طريق التلويح والإشارة ، لا من طريق النص عليه . كما روى أن امرأة جاءت إلى بعض الأمراء تقالت : أشكو إليك قلة الجرذان فى بيتى ، فقال الأمير : ما أحسن ما عرضت بحاجتها ؛ املئوا لها بيتها خبزا وسمنا ولحما .

فقلة الجرذان هنا تلويح إلى خلو البيت من الطعام وتعريض بطلب المعونة على العيش.

ومن أصلح ما ورد فى هـذا الباب ، ما كتبه عمرو بن مسعدة الكاتب البليغ المشهور إلى الخليفة المأمون وهو : "أما بعد فقد استشفع بى فلان إلى أمير المؤمنين ليتطول فى الحاقه بنظرائه من الخاصة ، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه ذلك تعدى طاعته ، والسلام" .

فوقع المأمون فى كتابه :

" قد عرفت تصريحك له وتعريضك بنفسك ، وقد أجبناك إليهما " .

وفى هذا المثال بيان صريح ، للتعريض والتصريح . فالكاتب عمرو بن مسعدة ، قد صرح للمأمون بحاجة المستشفع به وهى الحاقه ببطانة الخليفة ، واغتنم فرصة إزجاء هذه الحاجة إلى مقام الخليفة ، ليرجوه فى رفع درجته هو وترقية رتبته ، ولكنه عدل فى هذا الشأن عن التصريح إلى التلويح ، وسلك إلى غايته مسلكا لطيفا انتهى به إلى النجاح .

ولئن دل عمرو بن مسعدة بكتابه على الحذق والبراعة ، لقد دل المأمون بتوقيعه على فهمه لأسرار هذه الصناعة ، وحرصه على ترويج تلك البضاعة .

محمد عيسى

داء ودواء

للأستاذ محمد مصطفى حمام

نظر صاحبي إلى الساعة المثبتة على معصمه ونهض مسرعا وهو يقول : لم يبق على قيام القطار إلا نصف ساعة ، ومد يده إلى الجلساء مودعا ، قلنا إلى أين ؟

قال إلى الاسكندرية ، لأشيع الباشا فلانا إلى مثواه الأخير ، وأحضر المأتم ، وأواسي أبناءه وذويه ثم أعود من سفرى غدا .

ولم نجد فى عيني هذا المزمع سفرا وتشييعا أثرا للدموع ، ولا كان يبدو عليه مظهر من مظاهر الحزن بل لقد كان طول الجلسة أكثرنا ضحكا وأوفرنا حظا من المرح .

وأرجأ أكثرنا التعليق على " مشروعه " هذا إلى ما بعد انصرافه ، لأن للغيبة عندهم لذة لا تعادلها لذة ، أو هى داء لم ينج منه أحد ، لكنه قبل أن يفارقنا فتح لنا مجال التعليق اذ عرض علينا أن نصحبه أو يصحبه أحدنا ليكون له فى سفره زميل .

قلنا : لم تكن لنا بالفقيد صلة ، ولا نعرف أحدا من أبنائه ولا ذويه ، ولسنا عليه بمحزونين .

قال ولا أنا !

يا لها من عجيبة !

. . . ففيم يا هذا تكلف نفسك عناء السفر ونفقاته ؟

قال إنكم بلهاء . إن فلانا ابن الفقيد سيكون رئيسنا بعد أيام ، وقد أخبرنى بهذا مصدر مطلع فى الديوان ! أليس لكم شيء من بعد النظر ؟ ألا تحسبون للمستقبل القريب حسابا ؟

* * *

لقد رتب هذا الفتى أمره ، وأحكم تدبيره ، وقال لنفسه : إن ذهابى إلى هذا العظيم يخلق لى فى الغد القريب فرصة ذهبية . انه سيعرف لى هذا الجميل ، فاذا ما استقر فى منصبه ورآنى بين مرءوسيه فلا شك أنى سأظفر عنده بالحظوة وأتبوأ من نفسه المكان الرفيع .

وأمثال هذا الطفيلى كثيرون ، لا يعنون من الصحف إلا بباب الوفيات ليعزوا ، وباب الأفراح ليهنئوا ، ولا يفوتهم تشكيل أو تعديل وزارى ، بل هم اليقظون المتيقظون لتهنئة الجميع سواء أكانت لهم معرفة سابقة بهم أم كانوا عليهم غرباء .

ومنهم من سأل عن الوزير أو الرئيس أو الكبير ، أين يقضي وقت فراغه ؟ فان كان معالمه أو سعادته عضوا في جمعية أو ناد أو حزب سياسي قدم نفسه عضوا ورب ما اقترض مبلغ الاشتراك لأنه ليس في جيبه ! وما ذلك الا ليخلق فرصة الاختلاط بذلك العظيم ، ليحجز لنفسه حصة من وصاده ، ويحشر عنده في زمرة المقربين .

أولئك حريصون على زيارة كل كبير يمرض ، وأكثرهم لا يحفل بالمرضى أو المنكوبين من أهله وعشيرته الأقربين .

ومنهم كتاب وشعراء ، تتنازعهم قرائحهم على تدبيج المقالات وصوغ القصائد تهنئة وتعزية وتقريظا لمن يعرفون ومن لا يعرفون ، وهم لا يطلبون الخير العاجل ، وانما يربون لخطوة المحسوبية تربية منظمة طويلة العمر . ويصبرون لها ويواظبون على واجباتها ، وهم يأملون أن نمو حظوتهم لدى هذا العظيم يمشي مع نموه هو ومع تزايد نفوذه على الأيام .

ومما يؤسف له أن بعض عظمائنا تنطلي عليهم هذه الخدعة فاذا ما توفر لهم الجاه والقدرة على اسنع وأيسر ، دفعوا من جاههم ومن أمانة مناصبهم ثمن تلك المجاملات القديمة وإنهم ليدفعونه من حقوق الناس ، تعيينات وترقيات وقروضا من مال الدولة وسخاء في تسهيل المصالح على اختلاف أنواعها وعلى اختلاف طلابها .

فالأصل في " المحسوب " أنه طفيلي ثقيل ، لكن بساطة بعض كبار رجالنا تقبل هذا الطفيلي وتظل تسمعه وتشجعه حتى ينقلب إلى صداقة لها حقوق ولها واجبات .

واذا كانت "المحسوبية" أو كان هذا التطفل ، داء من الداءات التي تستفحل وتقوى ، فمن حقها أن تعالج فقط . بل يجب أن تتخذ العدة للوقاية منها قبل استفحالها . وطريقة ذلك أن يصون العظماء مجالسهم وأفراحهم ومآتمهم عن كل متطفل لا يعنيه من أمر الأسرة شيء ، ولا تربطه بها قرابة ولا صداقة .

يوم تتوفر لدى رجالنا هذه الشجاعة يعرف كل انسان الحد الذي ينبغي له الوقوف عنده ، ولا يكون لأحد حق على الدولة كسبه ببطاقة تهنئة أو كلمة تعزية أو صلة مغتصبة لها بطريق التطفل والفضول ما

محمد مصطفى حمام

وزارة الشؤون الاجتماعية

بين المشجعين والمثبطين

"لا ستدل "من . . . ..."

في حديث معالي الوزير الذي افتتحنا به هذا العدد بيان ما يهم الجمهور أن يعرفه من أعمال هذه الوزارة، والمقال الآتي يتناول مهمة الوزارة عامة وما يعترضها من صعوبات (المحرر)

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء

كنت أعتقد أن هذا البيت المشهور لكثير التردد على الألسنة في حديث معالي الوزير إنما قيل لمجرد التصوير والتمثيل لا ليكون حقيقة واقعة من حقائق هذه الحياة. وظلت على هذا الاعتقاد حتى رأيت وزارة الشؤون الاجتماعية تنشأ بلا ميزانية، ثم تطلب منها المعجزات في عام وبعض عام، فأدركت أن الأمثال والتصويرات تنقلب حقائق هائلة في عالم الواقع الملموس!

لقد أنشئت هذه الوزارة "لإصلاح المجتمع المصري" وهذه المهمة التي تتلخص في كلمات ثلاث هي أضخم مهمة عرفها التاريخ لهيئة من الهيئات بل لدولة من الدول، وما أظن الحياة تستطيع أن تعي أضخم منها حتى حين تقدس بأعظم الانقلابات المعروفة في التاريخ.

وليس هذا الكلام مجرد تصوير إنشائي. فالحقيقة هي أن المجتمع المصري لا يحتاج لمجرد "الإصلاح"، بل هو في حاجة إلى "الإنشاء". وإلا فأين هو "المجتمع المصري" الذي تتولاه بالإصلاح؟

لندع الأرقام تتحدث عن هذا المجتمع الوهمي من النواحي الأساسية الثلاث: الاقتصادية، والصحية، والعلمية، ولنرجئ الحديث مؤقتا عن الانحلال الخلقي الذي نملك تعديد مظاهره، ولا نملك الأرقام الدالة عليه لأن الإحصاءات الخاصة به ناقصة أو مهملة.

فأما من الناحية الاقتصادية فيكفي أن نسمع شيئا عن توزيع الثروة أولا، وشيئا عن حقيقة هذه الثروة ثانيا، لننتبه على صوت الخبير الذي تصرخ به الأرقام:

(١) يبلغ عدد الملاك في مصر ٢,٤٣٩,٧٩٢ شخصا. أما الذين لا يملكون شيئا فهم نحو أربعة عشر مليونا.

(٢) يوجد من بين الملاك ١,٧١٥,٩٦٧ يملكون فدانا واحدا فأقل.

(٣) بينما ١٥٧,٠٠٠ مالك فقط يملكون أكثر من نصف الثروة الزراعية.

(٤) وعلى العموم فإن ٩٣ ٪ من مجموع الملاك يملكون ٢٠ ٪ فقط من الثروة العقارية و ٧ ٪ منهم يملكون ٨٠ ٪ منها .

وليس هذا هو الاختلال الوحيد فى التوزيع الاقتصادى ، فإن الثروة العقارية كلها مدينة للأجانب وكبار الملاك يرزحون تحت أعباء الدين. وقد بلغت قيمة الأراضى الزراعية وأراضى البناء والمنازل التى نزعت ملكيتها فى سنتى ١٩٣٦ — ١٩٣٧ فقط مبلغ ٦,٠٠٩,١٧٠٠ جنيها .

هذا من ناحية الثروة العامة وتوزيعها ، أما من حيث توزيع العمل فصلحة الإحصاء تقول : إنه يوجد فى مصر ٢,٠٥١,٤٨٦ بدون حرفة و ٤٧٣,٥٧٧ بدون حرفة منتجة و ٣,٠٠١,٢٧٤ من العمال الزراعيين و ١٣١,٩٣١ من الذكور يشتغلون بخدمة الأشخاص. وهؤلاء جميعا وعددهم نحو ستة ملايين يهبط دخلهم السنوى عن ٩ جنيهات مع أنهم يعولون نساء لا عمل لهن !

ونكتفى بهذه الأرقام التى تبين مدى الفقر العام الذى ترزح تحته الملايين فى البلاد ، ومدى الاختلال فى توزيع الثروة سواء فى الملكيات الزراعية أم فى الأجور . والاختلال الاقتصادى على هذا النحو بيئة تفرخ فيها شتى الأمراض الاجتماعية ، وتحتاج إلى العلاج السريع الناجع قبل كل إصلاح .

وأما من الناحية الصحية فتقرير لجنة المالية فى مجلس الشيوخ هذا العام يغنينا عن البحث فى السجلات وعن التدليل والاستنباط ، وهذه نقرات من تقريرها الدقيق :

" إن عدد سكان المملكة المصرية يبلغ نحو ستة عشر مليونا ، ولكن الاحتياطى الحر منه ، أى الصحيح السليم ، أصبح دون القليل ، أما الكثرة الساحقة من هذا العدد فقد أمست فى حكم الاحتياطى المحبوس رهين الأسقام و الأمراض والعاهات .

"راجعنا أرقام هذا الاحتياطى الإنسانى كما راجعنا أرقام الاحتياطى المالى ، فروعنا النتيجة كما تروع كل من راجع هذه الأرقام .

"رجعنا الى الإحصاء فى مورد السكان الأول ، أى فى المواليد ، فوجدنا أن الوفيات فى الأطفال لغاية السنة الأولى تبلغ ١٩٣ فى الألف أى أن نحو خمس أطفالنا يموتون فى السنة من عمرهم . وتدل الإحصاءات على أننا سائرون من سيئ الى أسوأ . ففى سنة ١٩٢١ أى منذ عشرين عاما كانت نسبة وفيات الرضع ١٣٣ فى الألف ، ثم وصلنا إلى ١٥٦ فى الألف فى سنة ١٩٣٧

"وتبلغ الآن وفيات الأطفال قبل بلوغ الخامسة من عمرهم نحو ربع مليون طفل. وليست الحال بعد هذه السن بأحسن مما تقدم، فان متوسط نسبة الوفيات الى مجموع عدد السكان كان فى مطلع هذا القرن ٢٥,٣ فى الألف . وقد وصل هـذا المتوسط فى سنة ١٩٣٧ إلى ٢٧,٢ فى الألف .

"واذا عرفنا أن هذا المتوسط لا يتجاوز ٨,٨ فى النرويج و ٩,٤ فى أستراليا و ١٢,٦ فى انجلترا و ١٨,٩ فى فلسطين و ٢٢,٦ فى الهند وجدنا أننا فائزون بالجائزة الأولى فى السبق الى الفناء.

"ولو أن الذين ينجون من الموت كانوا سليمين أصحاء لهان الأمر، ولكن إحصاء المرضى والمعلولين من الأحياء لا يقل هولا عما تقدم .

"يبلغ عدد موظفى الحكومة ومستخدميها وعمالها زهاء ربع مليون دل الإحصاء الطبى على أن ١٢,٦ فى المائة منهم يصابون كل سنة بالأمراض العادية ، فلو طبقنا هـذه النسبة على مجموع السكان كان المصابون بالأمراض العادية سنويا يزيدون على المليونين .

"ولكن هناك ما هو أدهى، فإنه يؤخذ من الإحصاءات التى بناها أحد كبار أطبائنا على الاستقراء والمقارنة أن المصابين بالرمد الحبيبى نحو ٩٠ فى المائة ، والمصابين بالبلهارسيا نحو ٧٥ فى المائة كذلك، وبالانكلستوما نحو ٥٠ فى المائة، وبالديدان المعوية الأخرى حوالى ٥٠ فى المائة كذلك ، والمصابين بالملاريا نحو ١٥ فى المائة، كما يبلغ المصابون بالدرن الرئوى نحو ثلثمائة ألف .

"واذا أضفنا الى هذه الأمراض الجزام والبلاجرا والأمراض العقلية والأمراض الوبائية كان لدينا مجموع مخيف لا يقل عن خمسين مليونا من الإصابات. واذا وزعنا هذه الأمراض والأسقام على مجموع السكان كان نصيب كل ساكن ثلاثة أمراض مما يجعل وادى النيل أشبه شىء بمستشفى جامع شامل .

" نعم ان سكان مصر فى ازدياد مستمر على الرغم من هذه الحالة ولكن يجب ألا تنسينا هذه الزيادة مصائب الأمراض المنتشرة ، إذ مهما تواضعنا فى تقدير عجز المجهود الإنتاجى بسبب الأمراض وقومناه بالنصف أو بالثلث أمكننا أن نتصور الخسائر الفادحة التى تصيب إنتاجنا القومى وتزيد فى فقر السكان .

" وهذه الحال المفزعة من الوجهة الاقتصادية تدعو الى التفكير الطويل حتى لو صرفنا النظر عن الاعتبارات الإنسانية والاجتماعية .

"فهل نبقى مكتوفى الأيدى أمام هذه الحالة المروعة التى تهدد البلاد فى سكانها وثروتها أى فى صميم كيانها ؟ وهل نكتفى بصيحات يطلقها الخطباء من حين إلى حين تحت قبة البرلمان ، أو بمقالات يذيعها الكتاب من آن إلى آن على صفحات الجرائد ؟

"إن علة أشد وأخطر من أن تعالج بالكلام" !

وليس وراء هذا البيان الواضح وهذه الصيحة المدوية زيادة لمستزيد فى بيان ما يتهدد كيان الأمة ومستقبل الشعب . وهى صورة للمجتمع المصرى الموهوم من الناحية الصحية ينذر بسوء المصير .

وأما من الناحية العلمية فان نسبة الأمية ترتفع إلى أكثر من ٩٠٪ من مجموع السكان ولهذه الأمية وجه أخطر من نسبتها العامة اذ تبلغ نسبة المتعلمين فى أرباب الحرف ١ إلى ١٢٠ من المشتغلين بالصناعات و ١ إلى ١٢٣٣ من العمال الزراعيين . ومعنى هذا وذاك أن اليد العاملة المنتجة موثوقة بالجهل معطلة عن الإنتاج الصحيح المستنير .

* * *

واذا نحن تجاوزنا هذه المظاهر الثلاثة المميزة للمجتمع : الاقتصاد ، والصحة ، والعلم إلى النواحى الخلقية ، رأينا ألا نجد من مظاهر الاجتماع شيئا إلا وقد أصابه الضعف أو الاختلال .

فمن الطريق فى الأزياء التى لا نهاية لها ولا رابطة بينها ، ثم انتقل الى التحلل من السمت والاستقرار ، الى الحركات والى روح العربدة الناشئة فى الشعب وشعارها " أنا مالى " ؟ تلك النعرة التى تصيب الشعوب فى أيام الاختلال .

ثم انتقل إلى الفساد الخلقى ، الى أزمة الزواج ، الى تفكك الاسرة ، الى الطفرة فى التقليد على الطريقة الفرودية .

ثم انتقل الى المفارقات العجيبة بين مظاهر الأمة وحقائقها ، والى الفوارق بين تشريعها وتقنية تشريعها ، والى العقليات المختلفة المتأثرة التى تنشئها مدارسها وأوساطها .

ثم انتقل إلى المحسوبية والوساطة فى كل صغيرة وكبيرة ، والى الاعتقاد الشائع الذى لا يتزعزع أن كل شىء يتم عن طريق الوساطة ، ولا شىء غير هذا الطريق .

ثم انتقل الى كل شىء يخيل اليك أن هذا الشعب ليست ثمة شيطانيا بلا قصد ولا غاية وأن كل شىء فى شؤونه يسير بلا حركة لا برنامج معين ولا هدف مقصود .

* * *

هذا هو المجتمع الذى تسلمته وزارة الشؤون الاجتماعية لتقوم باصلاحه أو لتقوم بانشائه . تركة مثقلة عليها من تركات القرون وخطاء الأجيال ما يتعذر كشفه أو يستحيل .

فماذا أعدت لهذه الوزارة من عدة ، وماذا هيأت لها من عتاد ؟

منحناها من الميزانية العامة ١٧٠٠٠ جنيه لتصنع به المعجزات ؟ ومنحناها من الزمن عاما و بعض عام لتنهض بعبء القرون والأجيال ؛ ولم نسلمها من الموظفين إلا الذين استطاعت وزاراتهم الاستغناء عنهم بعد طول الإلحاح والجدال !

نعم سبعة عشر ألفا من الجنيهات هي الميزانية الحقيقية لوزارة الشؤون الاجتماعية البالغة في ظاهرها ٦٤٥٩٥٠ ، فمصلحة السجون تختص بمبلغ ٤٨٠٨٠٠ جنيه ومصلحة الأعمال بمبلغ ١٢٦٥٠ ومصلحة التعدين بمبلغ ١٥٥٠٠ وهذه جميعها مصالح صمت الى الوزارة بميزانيتها العادية المقتطعة من الوزارات الأخرى التي كانت تابعة لها بل خفضت اعتماداتها في هذا العام . والديون العام يختص بمبلغ ٢١٠٠٠ جنيه مأهيات وأجورا ومرتبات وهي تقريبا مأخوذة جميعها من الوزارات الأخرى التي كان يتبعها الموظفون المنقولون للوزارة الجديدة . وهناك باب يسمى " المصروفات العامة " يخصه ١٠٢٨٥٠ ومعظم هذا المبلغ ينفق على ما تقتضيه إدارة الوزارة والمصالح التابعة لها .

أما المبلغ المخصص للأعمال الجديدة وهو ١٧٠٠٠ فهو وحده الذي يجوز احتسابه على هذه الوزارة المطالبة بالمعجزات !

وحتى حين نحتسب عليها ميزانيتها البالغة ٦٤٥٩٥٠ فاننا نجدها بالقياس الى المعجزات المطلوبة منها ضئيلة بدرجة لا تقاس .

إن المعجزة التي تتطلبها الدولة من هذه الوزارة هي وضع أساس جديد لتوزيع الثروة وتعادل الدخل وتوازن الجهد والجزاء بين جميع الطبقات . وهي وضع الأسس الكفيلة بتناسق الخطوات في مكافحة الفقر والمرض والجهل بحيث لا تسبق الواحدة الأخرى فيختل السير ويتعذر الإصلاح . وهي إعادة إنشاء المجتمع المصري على أسس جديدة سليمة من الوجهة الخلقية والعقلية . وهي إعادة النظر في العقلية التشريعية والتعليمية لتتفق مع مقومات الشعب الأصيلة .

ولفظة "المعجزة" لا تصور حقيقة هذا العمل المطلوب . فمجرد الإحصاءات والاختبارات التمهيدية اللازمة لوضع الأسس السليمة يقتضي عدة سنوات وعدة ملايين من الجنيهات ومئات من الموظفين الإخصائيين في كل ناحية من نواحي الاجتماع . بل هي في حاجة الى أن تكون جميع قوى الدولة في خدمتها تيسر لها مهمتها وتقدم لها ما تطلب من البيانات .

وبهذا وحده تستطيع أن تنهض بالمعجزة في غير زمان المعجزات !

"س ..."

الجانب الاجتماعي
في الشعر الحديث

في أرجح الظن أن البيئة المصرية لم تستطع تلوين الشعر عندنا بلونها المميز ، وطابعها الخاص — لا لقصور فيها — بل لأن شعراءنا — سامحهم الله — لا يريدون أن يفهموا أنهم "مصريون" . عليهم أن يلمسوا الحياة التي تكتنفهم لمسا رفيقا حينا ، وعنيفا أحيانا ، وان يتجهوا بوا معينا تجاوبا عميقا دقيقا ، يدفعهم لتصوير تلك الحياة تصويرا عميقا دقيقا كذلك ... وإلا فمن من شعرائنا النابهين يستطيع أن يزعم انه عمر الجانب الاجتماعي في الشعر الحديث ، بقصائده العامرات ... ومن منهم يجرؤ فيدعي أن يؤثر في الوسط الذي يعيش فيه ، أو يتأثر به ، وقد تبلورت في قصائده ومقطوعاته آمال أمته وامانيها .

تصطرع في مجتمعنا المصري أحداث اجتماعية ، وتضطرب فيه علل وأدواء ، و بين هذه وتلك تشرق في هذا الأفق العائم أمان وآمال ... فهل تسلل السادة الشعراء إلى كل أولئك في خفة ولباقة ، واستبطنوا مكنوناتها ، واكتنهوا أسرارها ؟ ؟

بيد و أن شعراءنا يؤثرون "التحليق" في أجوائهم الفساح ، ولا يرضون لعنهم أن يتخلج على أرض هذا الوطن .

إن الأسطورة الخادعة (الفن للفن) لم يعد لها في تقدير الأيام حساب ، فعلى إخواننا الشعراء أن يهبطوا من أجوائهم ليعيشوا معنا فلن يجدى "النسيم المصفق" ولا "الشعاع المختنق" على مجتمعنا شيئا .

إن هذه الغمرة التي يكتوي العالم بنارها ستنكشف أخيرا عن وليد جديد ، تعاونت في خلقه وتكوينه كل قوى الحياة وقد أعدت له الأيام رصيدا هائلا ستتلقاه به حتى يشب عن الطوق ، و يصلب عوده ، و يشتد أسره ، والعالم من أقصاه إلى أقصاه هو مهد ذلك الوليد الذي سيدرج فيه ، فعلينا نحن ان نهيئ له في مجتمعنا المصري ، الجو الصالح ، لينمو ويطرد نموه ، ونرسم له المثل العليا ليتأساها ، و يترسم خطاها ، في دقة وحذر ، ومن غير الشاعر يستطيع رسم هذه المثل ، في وضوح وجلاء ، وهل هذا الشاعر موجود بين شعرائنا المعاصرين ، ليستطيع الاضطلاع بهذه المهمة ؟ لقد توفر لغير واحد من شعرائنا حسن الأداء ، و إشراق التعبير ، ورصانة الاسلوب ، ولكن أكثرهم فقدوا صدق العاطفة ، وبقاوة الإحساس ، وسيظلون كذلك ما داموا يلوذون بالفرار ، من مواجهة "مشاكل الحياة" إلى "مشاكل القلوب" التي صدر الحكم فيها منذ زمن بعيد ، إن لم يكن في طوق شعرائنا أن يتحرروا من هذه الأنغام والترانيم التي لا تبعث فينا أملا ، ولا تحيي رجاء ، فلسنا حريصين

على هذا الطراز من الشعراء الذى لا يستوحى فنه إلا من لقيا ، أو ميعاد ، على ضفاف نهر أو على ربوة مشرفة .

لا ينفعنا هذا العبث ، فالحياة جادة ، وهى تريد طرازا آخر ، يستلهم وحيه من أحداث الليالى ، وعبر الأيام ، وحاجات المجتمع .

الفن إن لم يسلط أشعته النفاذة على كل أولئك فسيبرغورها ، ويصل إلى أعماقها فى سهولة ويسر ، ويستخلص منها العظة والعبرة ، فليس حقيقا بالخلود والإكبار .

مضى الزمن الذى راج فيه الأدب على أنه وسيلة من وسائل التسلية ، ونحن فى زمن يتحتم فيه على الفن أن يضع اللبنة الأولى فى صرح هذا الجيل الجديد .

بين يدى وأنا أكتب هذه السطور ثلاثة دواوين لثلاثة من كبار شعرائنا المعروفين : شوقى ، وحافظ ، ومطران ، ومهما يكن من شىء فهذا الثالوث كان ذا أثر بين فى فترة ليست بالقصيرة من تاريخ الأدب الحديث وكانت لهم مدارس ولكل مدرسة شرعة ومنهاج فهل كان شوقى على حق حينما قال :

رب جار تلفتت مصر تولیه ... سؤال الكريم عن جيرانه
بعثتنى معريا بماق ... وطنى أو مهنا بلسانه
كان شعرى الغناء فى فرح الشـ ... ـرق وكان العزاء فى أحزانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجر ... ح وأن نلتقى على أشجانه
نحن فى الفكر بالديار سواء ... كلنا مشفق على أوطانه

هل كان لهذه الأبيات وسواها من شعر شوقى أثرها فى توجيه حياتنا الاجتماعية ، إلى هدفها المرجو المنشود ، وهل استطاع أن يقف أمته وقفات حق كالتى قال فيها :

وقفات حق لم تقفها أمة ... إلا انثنت آمالها بنجاح
وإذا الشعوب بنوا حقيقة مدكهم ... جعلوا المآتم حائط الأفراح

كل هذه الأسئلة سيجيب عنها مقالى " الجانب الاجتماعى فى شعر شوقى ، حافظ ، مطران " فى الشهر القادم وسنرى إلى أى مدى احتفى شوقى بالناحية الاجتماعية ؟ وهل زحم حافظا فى هذه الناحية أم زحمه حافظ ؟ وكيف كان لون تلك الظروف التى أحاطت بالشاعرين ؟ ومن منهما كان حرا طليقا فأمسك عن الشدو والتغريد ؟ ثم اخيرا ما موقف شاعرنا مطران من صاحبيه ؟ هل جال معهما فى هذا الميدان جولات موفقة ؟ ثم ما قيمة الأثر الذى تركه هذا الثالوث فى مجتمعنا المصرى وهل قنع المجتمع بهذا الاثر الذى تطالعنا به دواوينهم ؟ ام طالبهم باكثر من هذا ، فلم يستجيبوا ... ...

هذا ما سنجليه فى كلماتنا القادمة التى نرجو أن يفهم منها شعراؤنا المعاصرون النواحى الخطيرة التى أغفلوها ، والتى ينبغى أن يحاولوا من جديد أن يجيلوا فيها عقولهم ، وقلوبهم ، ومواهبهم ، فى صدق وإخلاص ما

ا . ع . ا .

البغـاء فى مصر

لحضرة اليوزباشى صالح زكى

رئيس مكتب حماية الآداب

القوانين ككل شيء فى الوجود تبتدئ ضعيفة ناقصة ثم تتدرج فى مدارج الكمال متمشية مع نمو الأمة وتقدمها وما تصيبه من رقى فى العلم والأخلاق فكلما تقدمت الأمة خطوة تطورت معها قوانينها ولوائحها بما يلائم روح العصر و يوافق مصالح الناس و يكون كفيلا باستتباب الأمن وصيانة الأخلاق وحماية الفرد والجماعة من عبث العابثين و إفساد المفسدين .

ولا مشاحة فى أن جريمة البغاء هى لباقية من جرائم العصور الهمجية التى لاتزال شائعة بين أحط القبائل المتوحشة التى لا تخضع لقانون ولا تعرف للزوجية معنى ولا تدين للمرأة بحق ، وإنه لأحرى بمصر عاصمة الشرق وزعيمة دول الاسلام ألا تظل محتفظة بنظام البغاء الرسمى فى بلادها بعد أن تنبهت كافة الأقطار فى الشرق والغرب الى خطر هذا النظام فأبطلته وطهرت العالم من أدرانه . لكنى أقول وحبيبى ينـدى خجلا وفؤادى يلتاع حسرة إن مصر لم تكتف بإبقاء هذا النظام فى بلادها بل سنت له لائحة لتدعيمه وتنظيمه .

ونظرة واحدة الى لائحة العاهرات التى سنتها الحكومة فى سنة ١٨٩٦ ميلادية ثم عدلتها بلائحة العاهرات سـنة ١٩٠٥ ميلادية كافية للدلالة على نقص التشريع للقضاء على هـذا الداء الخطير .

ولقد كانت قضية الغربى المشهورة سـنة ١٩٢٠ وما كشفت عنه من اتجار بأعراض القاصرات وانتهاك للحرمات وعبث بأجسام الناس و إفشاء للأمراض بينهم ، جديرة أن تحفز الهمم الى إزالة وصمة البغـاء عن جبين مصر ، كعبة الممالك الشرقية ومهد تعاليم الدين الحنيف ، فلا تظل سوق للبغاء بعد الذى بدا على هذه اللائحة من النقص فاذا سألت عن علة إباحة البغاء بعد كل ذلك فإنك لا تحظى بجواب شاف اللهم الا أن هذه الإباحة يقتضيها مبدأ الحرية الشخصية التى تكفلها القوانين .

لقد آن الأوان لمصرنا العزيزة أن تلبس تاج المجد وتصبح فى ظل مليكها التقى الطاهر ، مطهرة من دنس هذه الآفة فما ينبغى أن تكون زعيمة الأمم الاسلامية دون هذه الأمم طهارة ونقـاء .

ولقد أدركت الحكومة ذلك كله فألفت لجنة فى ١٢ أبريل سنة ١٩٣٢ بقرار من مجلس الوزراء لبحث موضوع البغاء برياسة المغفور له محمد شاهين باشا وزير الصحة فى ذلك الحين واتصلت هذه اللجنة بمختلف الهيئات والطبقات للوقوف على وجهة نظرها فى موضوع البغاء ومع ذلك فقد ظل البغاء الى الآن قائما وها هى ذى وزارة الشؤون الاجتماعية قد أخذت تعمل جادة لمحو هذه الوصمة وتطهير البلاد من أدرانها .

البغاء من الوجهة الدينية :

البغاء هو اعتياد المرأة بذل جسمها وعرضها للرجل نظير أجر أو فائدة وهو فى الأديان كلها معاقب عليه. والإسلام الذى هو دين الدولة الرسمى يحرمه و يصفه بأنه فاحشة قال تعالى " وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا " فالبغاء محرم شرعا وقد قضت أحكام الدين الحنيف على مقترفيه بالجلد والرجم قال تعالى " الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ "

لذلك وجبت محاربة البغاء بدلا من تنظيمه وذلك بفرض أشد العقوبات وأشدها ردعا .

البغاء من الوجهة الصحية :

يقول أنصار بقاء البغاء إن فيه ضمانا للجمهور من التلوث بالأمراض السرية لأن المومس المحترفة يكشف عليها طبيا كل أسبوع مرة فهل فكر هؤلاء الأنصار فى عدد الأشخاص الذين يترددون على المومس فى كل أربع وعشرين ساعة وأنها معرضة فى كل مرة للعدوى من أحدهم ثم هى تنقل العدوى فى الحال الى من بعده .

لقد دلت الإحصاءات على أن متوسط هذه الزيارات من ثمانية الى ستة عشر زيارة يوميا وفى بعض الأحايين تزيد على الخمسين فماذا ينفع الكشف الموهوم حتى لو حدث كل يوم مرة ؟ لقد أجمع الأطباء الإخصائيون الذين عكفوا على دراسة الأمراض السرية على أن بعض هذه الأمراض لا تظهر أعراضها إلا بعد مدة طويلة إذا تمكن جرثومها فى المصاب زمنا يسمونه مدة الحضانة فاذا فرضنا أن عاهرا أصيبت بالسيلان قبل الكشف بيوم واحد ثم كشف عليها فلاشك أن نتيجة الكشف تكون سلبية فاذا ما زارها شخص بعد ذلك انتقل اليه المرض فحمله الى غيرها وهكذا يستفحل الخطر وينتشر الداء وتظهر مهزلة الكشف الطبى فى أوضح معانيها .

ثم هل فات هؤلاء الأنصار أن هناك وسائل وحيلا عجيبة تلجأ اليها المومس لإخفاء حالة مرضها وذلك بالتطهير والتجفيف وتضليل الطبيب الكشاف بشتى الأساليب مما يحول دون كشف أعراض المرض ومظاهره مهما يبلغ من مهارة الطبيب ودقته وعنايته ؟

أليس هذا أكبر دليل على أن نظرية إلغاء البغاء وتنظيمه صحيحا قد فشلت فشلا ذريعا فى تحقيق الغرض المقصود من هذه الناحية .

البغاء من الوجهة الانسانية والاجتماعية

ليس تفريط المرأة فى عرضها وبذل جسمها للغير بالأمر الهين على نفسها وليس من العدل أن نحكم على كل مومس تردت فى هـذه الهاوية بأنها مجرمة أثيمة ، فكم من بائسة حملها على قبول هذا العار جوعها وجوع فلذات كبدها بعد أن ضاقت بها السبل وبخل عليها المجتمع ولم تجد من الناس محسنا أو معينا

وكم من فتاة ساذجة أغواها أهلها وذووها فلم تذق للعلم طعما ولم تعرف للدين لونا ولم ترتشف من الأخلاق قطرة فنشأت جاهلة لا تفرق بين الفضيلة والرذيلة فذهب عفافها ضحية جهلها وضعف حظها من الدين والأخلاق .

وسنتبع هذا الإجمال بتفصيل وإسهاب فيما يلى من مقالات

صالح زكى

مدرسة للخطيبات

فى مصر مدارس لمعلمات مختلفة الدرجات ، ومدارس للطبيبات ، ومدارس للمرضات ومدارس للفنون . . . إلى آخر هذه الخدمات الاجتماعية التى لابد من التخصص فيها أو على الأقل الإلمام بها قبل احترافها .

والبيت ليس أقل شأنا من المدرسة والمستشفى والمصنع ، فلم لا تكون له مدرسة واحدة بين هـذه المدارس الكثيرة ، تهيئ البنت لخدمته وتأسيسه والقيام بشأنه على الوجه الذى يليق بجلال المنزل ومكانة الأسرة ؟

إن الدنيـا تتغير والحياة تتطور ، والفتاة التى كانت تصلح لتكوين الأسرة فى المـاضى والتى لاتزال حتى اليوم صالحة لهذه المهمة فى الريف ، لم تعد قادرة ولا صالحة على النهوض بمهمتها فى المدينة بعد التطور الاجتماعى الحثيث الذى أصاب جميع تقاليدها .

فلا بد إذن من إعداد خاص لفتاة المنزل يؤهلها للاضطلاع بتبعاتها الكبرى ، ويتناسب مع أهمية دورها فى تكوين الجيل الجديد ، وقيامها على حراسة المجتمع فى أشخاص أطفالهـا الصغار .

حقيقة أن الطبيعة تشترك اشتراكا عظيما فى إعداد البنت للبيت ولحياة الأسرة ، وتوحى إليها بالواجب وتنبه غرائزها للعمل المطلوب ، ولكن الطبيعة وحدها لم تعد تكفى ، لأن الإنسان لا يحيا اليوم حياة طبيعية من جهة ، ولأن ظروفا خاصة قد تعرقل عمـل الطبيعة من جهة أخرى وتعمل على إفساد اتجاهها .

وليس هناك ما يعرقل عمل الطبيعة و يفسد اتجاهها القويم كالعقلية التعليمية التى تسود الآن مسألة تعليم البنات فى مصر ، فهـذه العقلية تؤهل الفتاة لكل شىء إلا الوظيفة الطبيعية الأولى لها ، وهى حياة المنزل والأمومة والأسرة !

فهى قادرة على أن تجعل منها مدرسة أو طبيبة أو محامية أو ممرضـة أو عاملة فى مصنع أومتجر أوأى شىء آخر ، بينما هى تصرفها بشدة وعنف عن حياة الأسرة ، وتضع بينها و بينها الحواجز والعراقيـل التى يصعب عليها تخطيها لو شاءت أن تلجأ للبيت أو شاءت الظروف أن تلجأ إليه .

ولا أتوانى عن اتهام هذه العقلية بأنها تهدم كيان الأسرة وتوهن بناء المجتمع ، وتشرد البنات المتعلمات عن جنسهن ، وتفسد عليهن المستقبل ، وتدعهن غير صالحات للوظيفة الطبيعية التى خلقن من أجلها ، ولا سيما فى شعب كالشعب المصرى مرتبط بتاريخ عريق من التقاليد والقيود الخاصة بالأسرة .

فبرامج التعليم الحالية جادة كل الجد فى أن تجعل من الفتاة رجلا ، سواء فى ذلك من يسلكن طريق التعليم العام فالتعليم الجامعى ، ومن يسلكن طريق التعليم النسوى .

فأما الفريق الأول فأمره معروف ، وهو يدرس دراسة الذكور ويعيش فى جوهم ويحاول تقليدهم حتى فى المشية والحركة ومخارج الحروف إلى درجة قد تضحك فى بعض الأحيان .

ومن العسير على هذا الفريق أن يرتد إلى حياة المنزل بعد عشرة أعوام أو خمسة عشر عاما بين جدران المدارس على نظام خاص ومواعيد خاصة . فالفتاة التى اعتادت هذه الأعوام الطويلة أن تخرج كل يوم فى الصباح وتعود فى المساء ، وأن ينصرف همها إلى الكسب والنجاح والتسابق مع زميلات وزملاء ، وألا تعرف شيئا عن حياة المنزل ، ولا تزور المطبخ لأنها لم تألفه ، أو لأنها لاتجد فضلة من الوقت بعد إجهاد الدرس تنفقها فيه لو أرادت أو أراد لها أهلها معرفة شىء عنه — هذه الفتاة ليس من الممكن عمليا ولا عقليا أن تركن بعد ذلك إلى البيت أو تألفه إن بينها وبينه حواجز من العادة التى تأصلت ، عادة الخروج فى الصباح والعودة فى المساء ، والاختلاط بالعدد الجم من الزميلات والزملاء فى جو أوسع وأمرح من جو البيت المحدود .

وقد تصلح هذه الدراسة لفريق خاص من الفتيات : هن فتيات الطبقة الراقية التى لا يطلب منها بذل مجهود خاص فى الحياة المنزلية . الطبقة التى تملك استخدام طباخ وسفرجى ومرضعة ومربية غير الخدم العاديين ، وتبقى ربة البيت للاطلاع الثقافى والمقابلات والزيارات ولعب التنس وحضور الحفلات .

بخلاف الطبقة المتوسطة والأقل منها فهاتان لا طاقة لها بهذا كله ، وهما فى حاجة الى ربة بيت لها شىء من الإلمام بحياة البيوت ، ولها عقلية بيتية وهذا هو المهم .

وأما الفريق الثانى — الفريق الذى يسلك طريق التعليم النسوى — فظهره يغر ، وبرنامجه يخدع ، ولكنه فى الحقيقة لا يزيد كثيرا على الفريق الأول فى الصلاحية لحياة البيوت . وذلك بفضل العقلية التعليمية التى تفصل بين المدرسة والبيت فى النظام والترتيب والاتجاه .

ذلك أن دروس التدبير المنزلى فى هذه المدارس لا تزيد على أنها مظاهر جوفاء لا يمكن تطبيقها فى الحياة العادية . ومن أمثلة ذلك أن البصل يخرط بالشوكة والسكينة ، وأن الجهد منصرف الى عمل المربيات والحلويات كأن البيوت تعيش عليها ، وبأنيتها حلويات مما يستطاع عمله فى بيوت الطبقات الفقيرة والمتوسطة . فطبق الحلوى الواحد قد يكلف خمسين قرشا .

وعلة ذلك أن المعلمات لم يعشن فى بيوت ، و إنما يأخذن دروسهن حتى فى التدبير المنزلى من كتب معظمها منقول عن الكتب الافرنجية ! وتلك علة العلل فى الحياة المدرسية.

ثم إن البرامج فى هذه المدارس مثقلة بالمواد النظرية التى تحفظها التلميذات عن ظهر قلب ، ويصرفن فى حفظها وتجويدها طول النهار ونصف الليل بحيث يتعذر على أية تلميذة أن تندمج فى حياة أسرتها أو تدخل مطبخها أو تدرى شيئا عن شؤونها العائلية طالما هى فى المدرسة .

حتى إذا عادت الى المنزل بعد غيبتها عنه سنوات طويلة عادت غريبة عنه ، بعيدة عن جوه ، لا تألفه ولا تطيق المكث فيه منفردة عن الصواحب والزميلات والمدرسات وجو الحجرات المدرسية والعقلية الدراسية التى لا تلتئم فى شىء مع عقلية البيوت .

ولعل من الطريف أن نتحدث هنا — بعد خبرة وتجربة — عن أوهام التلميذات الصغيرات التى يحطن بها حياة المدرسات !

إن هؤلاء الطفلات ليدهشن كل الدهش لو رأين إحدى مدرساتهن تدخل منزلا أو ترافق أحدا من أسرتها أو تشتغل بشأن من شؤون البيوت ! فهن لا يتصورن أن المدرسة مخلوقة عادية كأمهاتهن تشتغل بما تشتغل به المرأة العادية !

ومهما يكن مبلغ هذه الأوهام الصغيرة من الغرابة ، فإنها صادقة فى صميمها . فالواقع أن المدرسة والتلميذة على السواء تكادان تخرجان عن حياة المرأة الطبيعية ، تكادان تكونان جنسا آخر غير الجنس النسوى المعتاد . وهذه الأوهام أدل ما تكون على حقيقة حياة هؤلاء الشاردات عن جنسهن الخاسرات خسارة كبرى فى الحياة !

والسبب فى هذا كله كما قدمت هو العقلية التعليمية التى تحرص على التفريق التام بين جو المدرسة وجو البيت ، ولا تحاول أن تجعل من المدرسة بيتا منظما راقيا فتخفف من أثر السنوات الدراسية الطويلة فى إفساد غرائز الأمومة والأسرة والبيت فى نفوس المتعلمات .

وسبب آخر لعله يزول مع الزمن ، وهو أن المتعلمات لا يزلن قلة قليلة بين الفتيات مما يخيل لهن أنهن جنس آخر غير جنسهن ، وأنهن مخلوقات جديدة لا تمت بصلة للمخلوقات الأخرى الجاهلة ، وأن ميزتهن الكبرى يجب أن تكون هى الرجولة لا الأنوثة ، وأن خدمة البيت وظيفة الجاهلة التى لا تليق بالمتعلمة .

وهذه عقلية مؤقتة ستزول بعد تعميم التعليم بين الفتيات . ولكنها فى دورها الخطر فى هذا الجيل مما يضاعف أزماتنا الاجتماعية ، ويساعد العقلية التعليمية الحاضرة فيما تصنعه من إفساد الطبيعة النسوية وعرقلة وظائفها الأصلية .

لهذا كله يجب أن تكون فى مصر مدارس لتخطيبات . فقد فشلت مدارس التربية النسوية ومدارس الثقافة النسوية فى إعداد فتاة المنزل لأنها انساقت وراء المظاهر البعيدة عن حقائق البيوت . انساقت الى الشغل للمعارض ونيل الجوائز وعمل المربيات والحلويات والمفارش الغالية والفساتين الفاخرة التى لا طاقة لمتوسطى الحال بتكاليفها الباهظة .

ثم ارتكبت الغلطة نفسها التى لا مفر منها وهى الفصل بين البيت والمدرسة بحواجز لا يمكن تخطيها ، وبعقلية مدرسية لا تطيق العقلية المنزلية ولا تصبر عليها !

وأهم ما تصنعه مدارس الخطيبات فى نظرى ، هى أن تحاول ردّ الشاردات عن الجنس إليه ، وأن تفهمهن أنهن فتيات خلقن للمنزل والأسرة ، وأن تكون هى ذاتها على نظام البيوت العادية فى حياتها وطعامها وشرابها واستقبالاتها وزياراتها وعلاقات تلميذاتها ومدرساتها وناظراتها .

فإذا نجحت فى تقرير هذه الحقيقة فى أذهانهن بالإرشاد وبالعمل وبجو الحياة العامة فى المدرسة ، أخذت فى تلقين الفتيات وتدريبهن على التدبير المنزلى الواقعى فى حياة البيوت وقدمت الأهم على المهم .

وفى اعتقادى أن الشرط الأساسى لنجاح المدارس فى مهمتها هذه ألا تقيم معرضا واحدا ، وألا تطمع فى نيل جائزة واحدة . فالمعارض والجوائز هى اللعنة التى تصيب كل عمل جدى عندنا فتخرجه عن وضعه الطبيعى الى وضع مصطنع لا غرض له إلا المظاهر والإعلان !

وقد أنشأت اليابان مدارس من هذا الطراز لتقوم بالوظيفة التى عجزت عنها الجامعات والمدارس النسوية على السواء ، وفى مصر يمكن أن تبدأ هذه المدارس بعد الدراسة الثانوية مباشرة ، وأن يباح دخولها كذلك لخريجات الجامعة ومدارس المعلمات إذا شئن أن يتهيأن للحياة المنزلية ، وبذلك يجمعن بين الثقافة العقلية والتدريب المنزلى .

ومن المؤكد أن يقبل الشبان على خريجات هذه المدارس إذا أمكن أن تسلم هى الأخرى من لعنة العقلية المدرسية ، وأن يختار لها مربيات زاولن بالفعل حياة البيوت ، وعرفن شيئا من جوها الروحى والعقلى يطبعن به تلميذاتهن .

والواقع أن شبان هذا الجيل حائرون فى اختيار شريكات الحياة ، بين فتاة الجامعة المسترجلة النافرة من كل وظيفة نسوية ، وبين خريجات المدارس النسوية المولعات بالقشور والمظاهر البعيدات عن الجو المنزلى وعقليته الحقيقية ، وبين الجاهلات المدربات على حياة البيوت ، وليس بين هؤلاء جميعا من تصلح لتكوين الأسرة الصحيحة .

ومن المؤكد كذلك أن تقبل عليها الفتيات متى عرفن إقبال الشبان ، وفى اسم هذه المدارس نأل حسن يجذبهن اليها على كل حال !

روح المرح

هى الملجأ الأول فى زحمة الكوارث

يجتاز الناس فى هذه الأيام مرحلة من الشدائد والآلام قل أن يكون لها نظير، وتشترك فى الضغط على أعصابهم وقوة احتمالهم عوامل شتى ، فى مقدمتها الغارات الجوية ، والأزمات الاقتصادية ، وفقد الأهل والأبناء ، والقلق الدائم مما يكنه الغيب المخيف .

وهى محنة للبشر تحتاج الى أعصاب قوية ونفوس متينة ، وإلا انهارت وتحطمت تحت مطارق الأحداث التى تضغط عليها الليل والنهار . وروح المرح والدعابة فى مقدمة ما يمد الأعصاب بالقوة والنفوس بالثقة ، ويهون عليها وقع المخاوف ، بل يحيل هذه المخاوف مادة للتفكهة فيخف ضغطها وتذهب روعتها ، وتستعد النفوس لاحتمالها .

وأمامنا مثل حى لما تصنعه هذه الروح بالأعصاب من تجديدها وتقويتها فى شعوب الأمبراطورية البريطانية . فالغارات الجهنمية على لندن والمدن الانجليزية الأخرى ، وأهوال البحر التى تتعرض لها سفنهم وبحارتهم ، والحياة فى بيئات لم يألفوها من قبل ومنها جهنم القيظ فى الصحراء وزمهرير الصقيع فى الشمال ، وانهيار الشعوب أمامهم شعبا إثر شعب ، كل هذا لم ينل من قوتهم المعنوية ، ولم يفقدهم الثبات والاطمئنان المشهورين عنهم ، لأن روح المرح والدعابة تتخلل نفوسهم ، وترفه عن أعصابهم وتخفف من ضغط الأحداث عليهم ، وتهون وقعها على قلوبهم .

وهاهم أولاء يروحون بيننا ويجيئون ضاحكين مستبشرين ، لا تفارقهم دعاباتهم ومرحهم وضحكاتهم الخارجة من أعماق نفوسهم ، لا يفزعهم الخطر ، ولا يزعجهم الهول ، بل يملكون أعصابهم لمواجهته بفضل ما نشأوا عليه من المرح والدعابة .

وهم يعيشون كذلك قريبا منا فى طبرق طوال الصيف لا تكاد الغارات الجوية تنقطع عنهم ولكنهم مع ذلك هم هم فى مرحهم واستبشارهم ، اللذين هما سر صبرهم واحتمالهم .

* * *

ونحن فى مصر أحوج ما نكون الى سريان تلك الروح فى أوساطنا ، لتعصمنا من الفزع الذى يصيبنا فى هذه الأيام ، كلما دوت صفارات الإنذار ، وللترويح عن قلوبنا من زحمة الحوادث ، ومن القلق الذى يساورنا على الحاضر والمستقبل .

ولو استطعنا أن نلون الحوادث بلون فكه ، وأن نتخذ منها مادة للتفكهة لهانت علينا ومرت بنا دون أن تتلف أعصاب الكثيرين منا ، أولئك الذين نالهم من الأذى ما نالهم من جراء الغارات القليلة والأخطار الخفيفة التي تعرضت لها مصر في هذه الأيام .

وربما أخطأ البعض في مظاهر الاستهتار الجوفاء البادية في الوسط المصري ، فظنها مرحا أصيلا كالذي ندعو اليه ، والحقيقة غير ذلك ، فالحياة المصرية تخيم عليها الكآبة ويطبعها الغم والحزن بطابع عميق ، على الرغم من مظاهر الاستهتار البادية والتكتة المصرية المشهورة .

ومبعث هذا الاستهتار الظاهري هو الأعصاب المنحلة لا الأعصاب القوية ، وآية ذلك أن مظاهره لا تبدو الا في الجماعات العابثة ، فاذا تفرقت وثاب كل منها الى نفسه ، عاد الى الاستكانة والكآبة والانكماش ، ولم يحتفظ بصورة المرح الثابت في جميع الأحوال .

ولهذه الكآبة أسبابها الواضحة في مصر . وفي مقدمتها الفقر الأزلي الذي يضغط على الغالبية الغالبة والمرض الناشئ من سوء التغذية والطفيليات ، وهو يهد الأجسام وينهك الأعصاب مع حليفه الفقر الكئيب ، ولا يدع للنفوس مجالا لأن تنشط أو تهش لشيء من الأشياء .

ولا نستطيع أن ننسى عاملا جديدا من عوامل الهم والكآبة ، وهو محطة الإذاعة التي تنشر في كل بيت وناد ومقهى أصوات الأسى والتحزن من حناجر المطربين والمطربات ، فاذا المملكة كلها محزنة دائمة بالليل والنهار ، ومأتم لا ينفض ولاتني أصوات النائحين والنائحات تتردد في أرجائه كل آن !

وكذلك لا نستطيع أن ننسى أن جو البيوت المصرية لا يساعد على خلق روح المرح الصحيحة ، فالبيوت القديمة كاد يسودها الكبت والوقار المصطنع الذي يباعد بين أفراد الأسرة ، والبيوت الجديدة بيوت عابثة مستهترة مفككة ، لا تربط بينها صلة ولا يجمع بينها رابط ، لكل فرد فيها شأنه الخاص ومواعيده وزياراته ، أما الأطفال ففي أيدي الخدم أو على قارعة الطريق مع رفاق الطريق .

ومن شأن الكآبة أن تحطم الأعصاب ، وتقلل من استعدادها للمقاومة ، فتنهار أمام أول صدمة ، ولا تجد لها رصيدا من الصحة وتعود الاحتمال يقيها شر الاصطدام .

من واجبنا إذن أن نعنى بتقوية روح المرح في نفوس الشعب بإدخال السرور على قلوب الجميع ، والاجتهاد في إشاعة روح المرح والبهجة في كل مكان .

ففى المنزل ينبغى أن يعلم الآباء والأمهات أن سعادة أطفالهم هى الواجب الأول عليهم والميراث الثمين الذى يورثونهم ، فيجب أن ينصرف تفكيرهم الى إدخال السرور دائما على نفوسهم الصغيرة البريئة بالتفكير فى الألعاب و لأحاديث التى تملأ قلوبهم بالبهجة وتنشطهم للمرح والحركة. ويجب أن يخفوا عن أعين الأطفال كل مظاهر الغم والكآبة ، وكل المنازعات الصاخبة التى تملأ إحساسهم بالضيق والكدر وتتلف أعصابهم وهم بعد فى دور الطفولة .

وفى المدرسة يجب أن يكون النشاط الحر هو أساس التعليم ، وأن تتغير العقلية التعليمية التى تجعل تحصيل المعلومات مقدما على الحياة ذاتها ؛ و بتعبير آخر يجب أن يعيش الأطفال وهم يتعلمون وأن تراعى غرائزهم وطفولتهم ، فلا تكبت فوق المقاعد وفى حجرات الدراسة باسم النظام !

وللمرة المائة تنادى بإنقاذ الشعب من لعنة الغناء الحزين التى تصبها عليه محطة الإذاعة بالليل و بالنهار ولا ذنب له سوى اقتنائه أجهزة الراديو وسداد الضريبة المطلوبة فى مواعيدها المحددة . وليس هذا ولا ذاك جريرة يسام من أجلها هذا العذاب المقيت !

نحن فى حاجة الى أعصاب هذه الأمة فى النوازل والملمات التى تعصف بها فى هذه الأيام . وهى أجدى من كل وسائل الوقاية ، وهى الملجأ الأول من الغارات وغير الغارات واذا وهنت هذه الأعصاب تحت مطارق الأهوال فلن تجدى المخابئ ولن تنفع وسائل الإنقاذ .

ولست أدرى غرام السادة والسيدات من المطربين والمطربات بهذا النواح الذابل الحزين ، الذى يشيع فى موسيقاهم وأغانيهم ، حتى فى الأناشيد الوطنية التى خرجت من حناجرهم إما أصواتا نائحة ، و إما همهمات مائعة ؟

و إذا شذ مطرب أو مطربة ، فنفخ فى الأغانى روحا قوية ، وبعد بها عن الحزن المائع والتطريب المتخلع ، كان هذا نذيرا بندرة إذاعاته ، إن لم يكن بإقصائه نهائيا عن فردوس الإذاعة وطرده من رحمة المحطة .

إن البيت والمدرسة والمحطة تشترك جميعا فى إشاعة الكآبة والغم فى النفوس ، ومن الرحمة بهذا الشعب ، أن نقتصد فى إلقاء هذه الأثقال على كاهله فى وقت تثقله هموم الحرب بأفدح الأعباء .

ورحمتك اللهم — خاصة — من هذا النواح الذى يدعونه بالغناء .

الراحة والسعادة

بعض من لا مطامح لهم ولا آمال قانعون بما هم فيه، لا يتطلعون إلى خير منه، ولا يكلفون أنفسهم مشقة الطموح الى ما ليس في أيديهم، ولو كان مستطاعا مع الجهد والدأب، والحياة أمامهم هي هذا الواقع المريح الذي يتكرر كل يوم ولا يتغير شيء فيه أولا يكاد يتغير.

وبعضهم قريب المطامح صغير الآمال، تنحصر مطالبه في تلبية حاجات الحياة اليومية وتوفير وسائل راحة البدنية لشخصه أو لعائلته، لا تكترث مطالب عامة، ولا يعلق فكره بشؤون وطن ولا انسانية، والحياة عنده هي هذه المطالب الحيوانية أو الشبيهة بالحيوانية.

هؤلاء وهؤلاء مستريحون ولكنهم ليسوا بسعداء، والراحة غير السعادة، فالأولى مطلب متواضع يستطاع تحقيقه بأيسر مجهود وفي كل الأحوال، أما الثانية فمطلب عسير بعيد من مطالب أهل الجنة ومن مطامح الخلود.

والطموح والتطلع الى الآفاق الإنسانية العليا أمران متعبان حقا ولكنهما ضروريان لسعادة الفردية والقومية والإنسانية، لأن السعادة شعور عظيم لا يتهيأ الإحساس به لذوي النفوس الصغيرة والوحدات المطموسة، وهؤلاء قد يعيشون في راحة ولكنهم يبعدون عن السعادة الحقيقية بمقدار ما يستمتعون به من الراحة البليدة.

ومن المؤكد أن الجهاز النفسي الذي يستطيع تذوق السعادة بدقة وإتقان هو الذي يستطيع تذوق الآلام بنفس الدقة ونفس الاتقان.

أما الجهاز النفسي المعلق دون الإحساس بالألم فهو كذلك مغلق دون الإحساس بالسعادة، والشأن في هذا شأن الحواس، فالذوق الحساس بالطعوم هو الذي يتذوق الجيد من الطعام أحسن تذوق ويصح كذلك بالرديء، والآذن التي تستمتع بالصوت العذب هي التي تتألم من الصوت الكريه، والعين التي تدرك محاسن الصور ومواقع الجمال هي نفسها التي تدرك مقابح النظر ومواطن التشويه.

أما الحاسة التي لا تنفر من القبح ولا تتأذى به، فهي التي لا تلتفت الى الجمال ولا تستطيبه وطبيعة الإحساس بالشقاء والسعادة واحدة في جوهرها كطبيعة الإحساس بالقبح والجمال.

ويحسن هنا أن ننبه إلى أن الطموح شيء غير القلق، وأن الرغبة فيما هو أفضل ليست هي الحسد والتطلع الى ما في أيدي الناس، أو إلى ما لا يستطاع تحقيقه من الخيالات والأوهام. إنما الطموح هو الرغبة المصحوبة بالعمل لتحقيقها، وهو الشعور بالكفاية الشخصية لتحقيق

ما تسمو اليه النفس والارتياح لهذا الشعور ولنتائجه العملية ، أما القلق والسخط و تطلع إلى ما فى أيدى الناس ارتكانا على الأمانى والآمال ، فشىء آخر غير الطموح ، و بضاعة من بضائع العجزة لا تؤدى الى راحة ولا الى سعادة .

والمجتمع والوطن — بل الإنسانية — فى حاجة الى الطموح والتطلع لا الى راحة والانكماش ومطلب الراحة هو أرخص المطالب التى يرفو اليها الفرد أو الجماعة ، وهو المقياس الذى لا يخطئ فى قياس حيوية الأفراد والشعوب وستعد دهم للسير فى المعترك العملى الذى لا مكان فيه لقانع أو مستريح .

وقد درجنا فى مصر على فهم خاطئ للقناعة وللسعادة ، فالقنوع عندنا هو من لا يطلب المزيد ولا يتطلع إلى جديد على أى وضع من الأوضاع ، والسعيد كذلك هو المستريح وبوكانت راحة البلادة وعدم الاشتغال بغير الطعام والشراب .

وكان لهذا الفهم الخاطئ أثره السيئ فى نفوس الأفراد والجماهير ، فقليل عندنا من يتطلعون الى الرقى و يعملون له بجد مؤثرين ذلك على الانكماش والراحة ، وقليل كذلك من يشغلون أنفسهم بالمسائل العامة و يعلقون تفكيرهم بشئون الوطن والإنسانية و يجعلونها شؤونهم الخاصة التى تهمهم وتشغلهم .

وقد نتج من ذلك أن يوصم المتطلعون الطامحون بالطمع والأثرة ، وأن يوصم المشتغلون بالمطالب العامة والهموم الإنسانية بالخيال أو بالجنون !

وعلى ذكر الخيال نذكر أنه أداة ضرورية للانسانية وليس عيبا ولا نقصا ، فالفرد الذى لا يتخيل لا يعمل ، والأمة الكليلة الخيال هى الأمة الضعيفة المطامح القليلة الآمال .

ونحن فى حاجة الى الخيال يمدنا بالمطامح البعيدة و الآمال العريضة ، ولكن على شرط ألا يكون كخيال المخدرين و وساوس المخمورين ، فتلك علامة الصحة والسلامة أما هذه فشارة المرض والاختلال .

والخلاصة أنه يجب التفريق بين الراحة والسعادة ، و بين الطمع والطموح ، وعلينا أن نجتنب الراحة المنبعثة عن الضعف والانكماش كما نتجنب الطمع المؤذى المنبعث عن الحسد والأنانية .

ولنعود أنفسنا احتمال الآلام فى سبيل نطموح نحصل على السعادة فى نهاية المطاف وليست هذه الآلام الطارئة إلا ضريبة السعادة الحقة .

رُوح القَطيع

رصيد إنسانى للأسرة والمجتمع

الشعب المصرى شعب وديع ودود بطبيعته ، وليس شيء من هذا بمستغرب إذا نظرنا إلى نشأة هذا الشعب و بيئته ، فهو شعب زراعى عريق ، انقضت عليه القرون تلو القرون وهو مطمئن إلى بيئته خاضع لحكومة مركزية ودولة ثابتة ، متمتع بحضارة معروفة رتيبة .

والأسرة هى محور حياة هـذا الشعب الذى يقوم عليه كيانه ، ولها فى تفكيره ونفسه المكان الأول منذ أقدم الأجيال . والوصايا المتناثرة فى آدابه القديمة عن الأسرة غير قليلة والمشاهد الحاضر يجزم بأن هذه الروح القديمة سارية فى دماء الشعب وتقاليده .

فمن الوصايا القديمة قول " فتاح حوتب " لأحد التلاميذ : " إذا كنت رجلا ذا منزلة فاتخذ لك منزلا واحبب قرينتك الحب الجميل ، واطعمها واكسها وطيب أوصالها وادخل السرور على قلبها طول حياتها ".

وروى الأستاذ العقاد فى كتابه " سعد زغلول " بعض الملاحظات الصادقة التى تدل على تغلل روح الأسرة فى كيان الشعب إذ قال :

" إن المصرى لينسى كل شيء إلا وشائج الرحم وآداب الأسرة ، وقد يسف المجرم إسفاف الخبث والنذالة أو يسف المسكين إسفاف الضعة والمتربة ، لكنه لا يزال فى صميم نفسه ذلك الخلف المتحدر من أجيال وراء أجيال ، عاشت جميعا فى ظل الأسرة ، ودانت جميعا بآداب العرف الاجتماعى والعلاقات البيتية والأخلاق المصطلح عليها .

" راقبت هذا الخلق فى نفوس العلية والسفلة ، وفى نفوس الشرفاء والمجرمين ، فوجدته على قرار مكين فى جميع هؤلاء .

" وأردت وأنا فى السجن ، أن لا يفوتنى سبر هذا الخلق فى طبائع اللصوص والفتاك ، والمحتالين والأنذال ومدمنى الخمر و لسموم فاذا هم كلهم " بيتيون " فى طوية النفس يتمردون على القانون والفضائل والعظات ، ثم يقف تمردهم عند حدود العلاقات البيتية ، والعواطف التى تأصلت بين الأعمار والأسنان على حكم الأبوة والبنوة والإخاء والقرابة فى الأدهار بعد الأدهار ، فقلما يخطو التمرد خطوة وراء تلك الحدود .

" رأيت مرة طفلا صغيرا من الأطفال الذين يودعونهم سجن مصر ريثما ينقلونهم إلى سجن الأحداث فى الجيزة ، وكان هذا الطفل مع أقران فى سنه ينتظرون الترحيل فى فناء السجن المعرض لأنظار الرؤساء والسجانين فمر به سجين من العائدين فى جريمة السرقة ، فرفع له الطفل رأسه وناداه فى لهجة المسكنة الطبيعية التى يشعر بها الصغير فى غيبة أهله ، "جوعان" .

"فتمهل اللص العائد وقال له : " وماذا أصنع لك يا بنى ؟" وانصرف آسفا فظننته لا يعود ولا يفكر بعد ذلك فى الطفل المستغيث ، ولكنه ما لبث أن عاد بعد دقائق ومعه رغيف سرقه من المخبز فقسمه نصفين وأعطى الطفل نصفه واستبق لنفسه النصف الآخر ، ولو ضبطوه وهو يسرق الخبز لما نجا من الجلد الأليم أو من السجن على انفراد .

" ورأيت رجلا شيخا نازلا من درج المستشفى وهو لا يقوى على الحركة ولا يجد الممرض الموكل به من يقوى على حمله ، وكان على مقربة منه يافع لم يتجاوز السادسة عشرة لا يدل مرآه على ضلاعة ولا على صحة سليمة ، فشق عليه أن يبصر الشيخ المريض يتعثر فى خطاه ويئن من وجعه ، وتقدم إليه لحمله ومشى به على جهد شديد حتى أعياه حمله ، دون أن يكلفه الممرض ذلك أو يخطر له أنه قادر على هذا العبء الفادح ليافع مثله "

* * *

ومع هذه الأدلة التى لا تخطئ فى القديم والحديث على الحنو العائلى الطبيعى فى نفس المصرى وعلى تأصل الشعور بالأسرة ومودتها فى نفسه ، فإن عوامل طارئة حجبت الكثير من هذا الشعور وأشاعت فى النفس المصرية كثيرا من الجفوة والعزلة .

ذلك أن طول العهد بالظلم والاستبداد ملأ نفس المصرى بالمرارة والحقد وغطى على روح المودة والبشاشة والسماحة التى هى عنصره الأصيل ، كما أن تقاليد الأسرة التركية وما فيها من جفاف وغلظة واعتزال بين الرجال والحريم وبين الآباء والأبناء أثرت فى التقاليد المصرية السمحة الوديعة وحرمت البيوت لذة الأنس المشترك والتقارب العائلى فى الدار .

وكانت ثمرة هذه العوامل جميعا ما نراه من الجفوة وضيق الصدر والعزلة النفسية فى البيوت والمجتمعات ، حتى يصح القول بأن الأسرة والمجتمع غير موجودين بمعناهما الصحيح فى مصر .

ومع أن الأوروبيين بطبيعتهم أقل وداعة ومودة ، وأقصر حضارة وعراقة من المصريين والتنازع بينهم على الحياة أشد ، والتنافس أقوى ، مما يجعلهم أقل ميلا للتسامح واستعدادا للتواد ، إلا أنهم مع هذا قد سبقونا ، بما لا يقاس ، بتوافر روح التعاطف والتواد فيما بينهم وتغلغل روح الخدمة الاجتماعية فى نفوسهم .

وأدلة التعاطف والتودد واضحة فى البيت الأوربى بين الزوج وزوجه، وبين الآباء والأبناء وبين الكبار والصغار والإخوة والأخوات ، تعرف ذلك فى نظراتهم وحركاتهم واجتهاد كل منهم فى إدخال السرور الى قلوب الآخرين وفى ملاطفتهم ومؤانستهم وإشعارهم بالود الخالص والمحبة الصافية ، مما يعكس على البيت ظلالا لينة رفيقة ، وينفخ فيه من روح الفردوس النعمة الظليلة .

وأما فى المجتمع فأنت تلمح هذه الدلائل فى آدابهم الاجتماعية الرقيقة ، فى الشكر والاعتذار وفى تحفظ كل فرد وتحرزه من أن يمس شعور الآخرين أو يجبههم بتصرف خشن أو لفظ ملسكر ، أو إشارة مؤذية .

وليس هذا إلا أبسط مظاهر التواد والتراحم فيما بينهم . فانتشار الخدمة الاجتماعية بجميع ضروبها ، ونهوض الأفراد والجماعات بها فى غير كلفة ولا إعلان ، أوضح مايدل على قوة روح العطف الانسانى الجميل .

فكيف حدث أن تنفسح النفس الأوربية لهذا الخير كله وأن تضيق النفس المصرية عنه ، مع أن العكس كان أولى وأحدر بطبيعة نشأة هذه النفس وتلك وبظروفهما الاقتصادية كذلك؟

حدث ذلك كما قلت بسبب الاستبداد الظالم الذى جعل المصرى ينكمش عن المجتمع وليهمل الاشتغال بالشؤون العامة التى تخلق الروح الاجتماعية وتنميها . وبسبب الفقر الذى يملأ النفس ضيقا وظلاما ويكفها عن النشاط والمرح ، ويضنيها بالكدح الدائم فى سبيل اللقمة الجافة ، ويجعلها أقل احتمالا وتسامحا ولينا .

وحدث كذلك بسبب تقاليد البيت التركى التى غزت البيت المصرى العريق فجعلت هوة بين " السلاملك " و " الحرملك " وبين الكبار والصغار ، مما لم تعرفه الطبيعة المصرية فى القديم ، ولا يعرفه الريف إلى اليوم إلا فى بعض بيوت الأثرياء الآخذة بتقاليد الأتراك والمتتركين .

*

ونحن فى حاجة إلى الكشف عن الطبيعة المصرية الأصيلة ، واستنقاذها مما تراكم عليها من ركام التقاليد الدخيلة ومن أوضار الفقر والظلم فى العهود السحيقة . فالتعاطف رصيد انسانى تنفق منه الأسرة فى أزماتها النفسية والعائلية ، ورباط يشد بعضها إلى بعض ويقوى دعائمها ويقيها التصدع والانحلال .

وهو كذلك رصيد انسانى للمجتمع ، ينبع منه التواد والتراحم ، وتقام على أساسه المشاركات الخيرية ، وتستمد منه الخدمة الاجتماعية ، وتتغذى به الفضائل الانسانية على العموم .

فكيف نكشف عن هذه الطبيعة ونغذيها حتى تقوى و يشتد ساعدها .

كل محاولة لإشعار الشعب أن عهد "حكومة الحاكمين" قد زال ، وأن حكومة الشعب حقيقة واقعة لا أوضاع قانونية ، يكون لها أثر طيب فى إنعاش الروح الاجتماعية وصقلها وتنشيطها للعمل والاهتمام بالشؤون العامة ، والعناية بهموم الآخرين .

وكل محاولة لتخفيف الأعباء المرهقة عن كاهل المحرومين الأشقياء ورد بعض حقوقهم إليهم . هذه الحقوق المترتبة على الكدح والمشقة ، بحيث تتعادل الحقوق والواجبات ويتفق الجهد والجزاء ، كل محاولة فى هذا السبيل خليقة بإزالة المرارة والجفوة البادية فى أقوال الناس وتصرفاتهم ، وعودة بهم إلى الاستئناس والتسامح اللذين اشتهر بهما المصريون .

وعلى كل متنور فى هذا البلد ضريبة معلومة ، وهى أن يساهم فى تقوية هذه الروح فى منزله وبيئته بالبشاشة والتجمل على قدر ما يطيق ، وبإشاعة روح المرح والسرور على الرغم مما قد يكمن فى نفسه من عوامل الكآبة والفتور .

والصداقة العائلية رصيد لا ينشأ دفعة واحدة ، ولكنه يتألف من الابتسامة الرقيقة والإشارة العطوف ، ومن التسامح اليومى والعطف الوقتى ، ثم يتضخم وينمو حتى تحس به الأسرة وتطمئن إليه وتثق بقدرته على مواجهة الطوارئ والأزمات التى لابد منها فى حياة البيوت .

وكذلك ينشأ رصيد الصداقة الاجتماعية التى تدعو إلى مختلف ضروب الخدمة العامة بلا انتظار لأجر أو ترقب لثناء .

وينبغى ألا نيئس مما نراه من مظاهر الفتور فى الخدمة الاجتماعية ، فكل خدمة صغيرة ستشترك فى تكوين ذلك الرصيد الضخم الذى ننتظره بعد زوال عهود الظلم والاستبداد وبعد أن أصبحت الأمة صاحبة الرأى فى شؤونها ، وبعد إنشاء وزارة للشؤون الاجتماعية وهى رمز حى لهذا الرصيد الذى لابد من نشوئه وتضخمه فى يوم من الأيام .

رحم الله رجلا سمحا ، إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى .

حديث شريف

رابطة الاصلاح الاجتماعى

دار كفالة الفتاة

تمهيد :

أنشأت رابطة الاصلاح الاجتماعى دار كفالة الفتاة بتكليف من وزارة المعارف ، والشؤون الاجتماعية و يتولى الاشراف على هـذه الدار لجنة تتألف من ممثل وزارة المعارف الدكتور طه حسين بك المراقب العام للثقافة ، وممثل وزارة الشؤون الاجتماعية الأستاذ عبد الخالق حسونه بك وكيل الوزارة وممثل رابطة الاصلاح الاجتماعى الأستاذ محمد العشماوى بك نائب رئيسها .

الغرض من إنشاء الدار :

تقوم الدار على تربية فتيات الأسر الفقيرة اللاتى لا تساعدهن مواردهن على العناية بهن فيهملن شأنهن ، و إعدادهن إعدادا يؤهلهن لأن يكن أمهات وربات بيوت صالحات ، وفى الوقت نفسه تمكنهن من أن يكتسبن عيشهن من طريق احتراف صناعة نسوية أو الخدمة المنزلية إذا اقتضتهن ظروف الحياة ذلك .

شروط القبول فى الدار :

وتقبل فى الدار الفتيات التى تختلف أعمارهن بين ١٢ و ١٤ سنة بعد الكشف الطبى عليهن ولا يلحقن بالدار إلا إذا ثبت خلوهن من الأمراض ، ومدة التعليم ثلاث سنوات ثم تقضى الفتاة سنة للتخصص فى مهنة من المهن النسوية حسب استعدادها .

نظام الدار :

تقوم الحياة فى الدار على دعامتين .

١ — التوجيه العملى .

٢ — التأثير الصالح عن طريق الاتصال الشخصى المباشر بين المشرفات و بين الفتيات.

ويتحقق ذلك باتباع نظام الأسر فى الدار . فتقسم الفتيات إلى أسر متقاربات السن والميول والبيئة ، ولكل أسرة مشرفة تساعد فتياتها وتدربهن على العادات الصحية وآداب السلوك ، وتنظيم أوقات فراغهن ، وتكون على اتصال شخصى مباشر بهن بعد مغادرتهن الدار . وهذه المشرفة هى بمثابة الأم للأسرة تخلق فيها جو الأمومة وتهيئ للفتيات حياة الأسرة وتجعل المعيشة فيها شبيهة بالحياة العائلية

وسيخصص لكل أسرة جناح خاص للمبيت ومكان معين فى غرف الطعام . وهذه الأسر تتناوب العمل فى خدمة الدار .

خطة الدراسة :

تتجه الدراسة وجهة عملية مع الإلمام باللغة العربية ومبادئ الحساب والمعلومات العامة وتقوم على المران العميق فى فروع الخدمة المنزلية بالدار .

أما مواد المنهج فهى :

١ — التربية الدينية والخلقية .
٢ — اللغة العربية .
٣ — الحساب المنزلى .
٤ — شؤون الصحة العامة وتربية الطفل وتمريضه .
٥ — أشغال الإبرة .
٦ — الطهى .
٧ — الغسل والكى .
٨ — إدارة المنزل .
٩ — تربية الدواجن وفلاحة البساتين .
١٠ — معلومات عامة .

أقسام التخصص والتوجيه المهنى :

وستنشئ إدارة الدار أقساما للتخصص لمن ترغب فى لاستزادة فى الاتقان والتنويع وهذه الأقسام هى :

١ — الإدارة المنزلية للعاملات فى المنازل (الخادمات) وتشمل الغسل والكى ونظافة المنزل وادارته والحساب المنزلى .

٢ — الطاهيات : وتشمل دراسة بسيطة لأنواع الأطعمة واختيارها وأثمانها والتوسع فى تعلم الطهى العملى (عمل الصناعات الزراعية .

٣ — مربيات الأطفال . وتشمل دراسة صحة الطفل ورعايته ، والقصص والألعاب التعليمية ، ومبادئ التربية البسيطة لفهم طبائع الأطفال ، وحياكة ملابسهم .

٤ — قسم الحياكة : لإعداد الفتاة لامتهان هذه الصناعة وتخصص لأشغال الأبرة والخياطة والتفصيل وعمل الأزياء والتريكو ، وإصلاح الملابس والرفو ، والتطريز .

رعاية الفتيات :

١ — وستعمل إدارة الدار على رعاية الفتيات وتوجيههن فى حياتهن العملية كما أنها تتفقد منهن من تنقطع بهن أسباب العمل الى حين إيجاد عمل آخر لهن . وستعد ملحقا بالدار لهذا الغرض على أن تهيئ لهن وسيلة للإنتاج أثناء فترة التعطل عن العمل .

٢ — لا تتيح إدارة الدار خروج الفتاة إلا للزواج أو العمل ولا ترجع إلا إذا كانت قد تغيرت وأصبحت صالحة بعد بحثها اجتماعيا .

٣ — تباع الأشياء التى تقوم بعملها الفتيات ، وينشأ لكل فتاة رصيد تعتمد عليه عند تخرجها أو تستعين به عند الزواج .

لجنة الدار :

وتشرف على شؤون الدار وتوجيه العمل فيها لجنة مؤلفة بقرار من مجلس إدارة الرابطة من حضرات :

الأستاذ محمد العشماوى بك ... ... رئيسا

الأميرالاى مصطفى عبد القادر بك ... ... أعضاء

الدكتور على عبد الواحد وافى ... ...

السيدة عائشة إقبال راشد ... ...

الآنسة إقبال حجازى ... ...

والرابطة ترجو أن يحقق هذا المشروع الهام للعناية بالفتاة الفقيرة فى أخطر مراحل حياتها وأجدرها بالرعاية والصون فتجنبها العثرات وتهيئ منها عنصرا صالحا وتزودها بوسائل العيش الشريف وستفتح الدار أبوابها للفتيات فى أوائل توفمبر القادم .

كلمة حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد العشماوى بك
فى دفتر زيارات الدار

فى أوائل سبتمبر الحالى مضى على إنشاء دار كفالة الطفل العام الأول وقد تفضل بزيارة الدار بهذه المناسبة حضرات أصحاب المعالى والسعادة والعزة أعضاء مجلس ادارة الرابطة . وكتب حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد العشماوى بك الكلمة التالية فى دفتر الزيارات :

" مشروع دار " كفالة الطفل " جليل الخطر بعيد الأثر فإذا أضيف اليه مشروع رعاية أسر هؤلاء الأطفال فى النواحى الصحية والاجتماعية كان نطاق العمل كبيرا والرجاء المعقود به وطيدا . هذا يقتضينا كثيرا من العناية وحسن الإشراف والإخلاص فى العمل . وانى أشعر بأن هـذا المشروع يسير بخطوات مطمئنة و ينال من المشرفين عليه والمترددين على زيارته كثيرا من العناية . و إنى أهيب بالمشرفات على هذا المشروع والذين يتصلون بأعماله اتصالا مباشرا أن يولوه الكثير من الجهد والعناية وألا يقيسوه بصغر الدار وقلة الأطفال ولكن بعظمة الفكرة ونبالة المقصد . وانه يمثل محاولة محمودة لإنقاذ الطفولة ورعايتها يجب أن تقوم بجانبها وتليها محاولات كثيرة تشمل الملايين من هؤلاء الأطفال فإنا حيث نعنى بالطفولة فى هـذه المرحلة إنما نضع الأساس لنهضة مستقبلة وتبنى رجال المستقبل وفتيات الغد ومربيات الجيل القادم . ونصلح ما نعانيه من الضعف الجسمانى والخلق ونعطى مثلا صالحا لنوع من الرعاية بالطفولة ان بدأت ضئيلة فى حدودها الحالية فالأمل معقود باتساع نطاقها وعظمة مشروعاتها فى المستقبل القريب . و إنى أرجو أن ينال هذا المشروع التأييد الدائم من المصلحين والعناية الكبرى ممن عهد اليهم القيام على شؤونه المختلفة " .

رابطة الإصلاح الاجتماعى :
معهد دراسات الطفولة

اتجهت رابطة الإصلاح الاجتماعى إلى العناية بالطفولة ووقفت على هذه الناحية جانبا كبيرا من اهتمامها ومواردها لما للطفولة من شأن فى حياة الأمة ، ولما يتعرض له الأطفال الفقراء من المرض والإهمال بسبب الفقر والجهل ، وما يجر عليهم من ويلات فى صحتهم وأخلاقهم .

وقد رأت أن شؤون رعاية الطفولة بدأت تشغل بال الحكومة والمفكرين من المهتمين بالمسائل الاجتماعية من أفراد وجماعات ، وأن مؤسسات الطفولة سواء ما تنشئه الحكومة وما ترعاه الجمعيات قد أخذت فى الزيادة ، وأن الأمر يقتضى اعداد الفتيات اللائى يعهد اليهن بالعمل فى هذه المؤسسات أو الاشتراك فى وسائل رعاية الطفولة فى شتى نواحيها ، وفى مراحلها المختلفة ، وأن هذا النوع من الإعداد غير متوافر فى الوقت الحاضر على وضع كاف ، فبعضه يتجه اتجاها صحيحا خالصا ، وبعضه يتجه اتجاها تربويا بحتا . والأمر يقتضى مزيجا من هذا وذاك وتمرينا عمليا كافيا على شؤون الأطفال فى مؤسساتهم . ففكرت الرابطة أن تعد دراسات لتحقيق هذه الأغراض يقوم بها طائفة من الاخصائيين فى شؤون الطفولة من الأطباء وعلماء النفس والتربية والاجتماع ، وعهدت إليها بوضع خطة الدراسة ومناهجها .

والرابطة بذلك المشروع تسد حاجة اجتماعية محسوسة ، وتهيئ الجهود التى تبذل فى سبيل العناية بالطفولة ، وتحقق ناحية من نواحى التخصص فيها إذ تعد لمؤسساتها من يقوم عليها أو يعمل فيها .

مجلس إدارة المعهد

للمعهد مجلس إدارة يشرف على نواحى العمل به ويتألف برياسة حضرة صاحب السعادة الأستاذ محمد العشماوى بك المستشار الملكى لوزارتى الأشغال والشؤون الاجتماعيه والوقاية ونائب رئيس الرابطة وعضوية حضرات الدكتور عبد الواحد الوكيل بك والدكتور على عبد الواحد وافى والأستاذ محمد كامل النحاس والدكتورة نعيمة الأيوبى . أما مديرة المعهد فهى حضرة المربية الفاضلة الآنسة كلثوم جعفر ناظرة مدرسة العباسية الابتدائية للبنات بانتداب خاص من وزارة المعارف .

بيانات عامة عن المعهد

الغرض من تنظيم هذه الدراسات : اعداد متخصصات فى العناية بتربية الأطفال والأعمال المتعلقة بإدارة مؤسسات دور كفالتهم .

شروط القبول : تتلقى هذه الدراسات كل من ترغب فى ذلك ويكون لها مؤهلات دراسية ملائمة ، أو درجة من الثقافة تؤهلها لتتبع هذه الدراسات مع الاطمئنان لرغبتها فى سماع هذه المحاضرات بعد أن تزكيها اللجنة التى تؤلف للإشراف على القبول .

موارد الدراسة : هذه الدراسات تشمل النواحى التالية :

١ — البرنامج الاجتماعى ، ويشمل :

(ا) الخدمات الاجتماعية للطفل .

(ب) مشكلات الطفولة النفسية والجسمانية .

(ج) مشآت الطفولة وادارتها .

(د) التدريب العملى والزيارات .

٢ — البرنامج الصحى ، ويشمل :

(ا) الصحة العامة .

(ب) شؤون الحضانة .

(ج) الصحة العقلية .

٣ — البرنامج التربوى ، ويشمل :

(ا) بسائط علم النفس للطفل .

(ب) شؤون تربية الطفل .

عدد المحاضرات :

ويخصص للبرنامج الصحى ٣٥ محاضرة .

« « الاجتماعى ٣٠ « .

« « التربوى ٢٠ « .

وتشمل الدراسة غير هذا المنهج محاضرات عامة يلقيها بعض رجال مصر البارزين .

التدريب العملى :

وستكون الزيارات التى يقصد بها التدريب العملى متعلقة بترتيب المحاضرين وحاجة لدرس طبقا لبرنامج يوضع فيما بعد .

مواعيد الدراسة ومدتها : وستكون الدراسة مسائية من الساعة ٥ — ٧ صيفا ومن ٣ — ٥ شتاء مرتين فى الأسبوع ويخصص كل من هذه الأوقات لإلقاء محاضرتين . ومدة الدراسة من أوائل نوفمبر إلى أواخر يونيه .

مكان الدراسة : أحد مدرجات المدرسة السنية بميدان السيدة زينب .

رسوم الدراسة : وتدفع كل فتاة مبلغ ١٢٠ قرشا على أقساط أربعة متساوية كل شهرين قسط .

أسماء حضرات أساتذة المعهد الموكول إليهم تدريس المواد

١ — الصحة العامة : الدكتور عبد الواحد الوكيل بك .

» محمد صالح حلمى بك .

» أحمد حلمى شاهين .

٢ — شؤون الحضانة : » مصطفى الديوانى .

الدكتورة أسماء ربيع .

٣ — الصحة العقلية : الدكتور أحمد حلمى شاهين .

» حلمى مكارى .

٤ — علم النفس للطفل وشؤون تربيته : الأستاذ محمد كامل النحاس .

السيدة سميحة فهمى .

الآنسة إحسان هدايت .

٥ — الخدمات الاجتماعية للطفل ومشكلات الطفولة :

الدكتور على عبد الواحد وافى .

الدكتورة سيمة الأيوبى .

السيدة زاهيه مرزوق .

٦ — ملشات الطفولة :

الدكتور على نوار بك .

الدكتورة سيمة الأيوبى .

الدكتور ماجد الطرابلسى .